

مقامات العلم في الذهنية الشعرية

تصنيف
د. حمزة بن فايع آل فححي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا) .

حديث صحيح عند أحمد وابن ماجه.

(اللّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ،
وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا) .

صحيح مسلم .

كان والدُ إمام الحرمين الجويني رحمه الله يقول في دعاء
قنوت الصبح: " اللهم لا تُعِقْنَا عن العلم بعائق، ولا تمنعنا
عنه بمانع " .

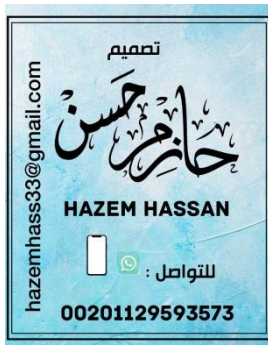
طبقات الشافعية الكبرى (٥ / ٧٤) .

الفهرس

١	الفهرس
٣	الاستهلال
٧	١ / فضل العلم :
٩	٢ / قوة العلم :
١١	٣ / عزة العالم :
١٣	٤ / شرط العلم :
١٥	٥ / تصدير الجهال :
١٧	٦ / العلم المنزوع :
١٩	٧ / مرارة التعلم :
٢٢	٨ / بناية العلماء والمعلمين :
٢٤	٩ / منية العالم :
٢٦	١٠ / الفهم السقيم :
٢٨	١١ / اقتضاء العلم العمل :
٣٠	١٢ / فئات رفعا العلم :
٣٢	١٣ / جمال العلم :
٣٤	١٤ / تفضيل العلماء :
٣٦	١٥ / قيمتك العلمية :
٣٨	١٦ / حلاوة العلم :
٤٠	١٧ / شيب الهمة :
٤٢	١٨ / قطرة المداد :
٤٤	١٩ / مقدمات العلم :
٤٦	٢٠ / العلم ودفع الغربة :
٤٨	٢١ / مقبرة الجهل :
٥١	٢٢ / فقر العلماء :
٥٣	٢٣ / عزو العلم إلى أهله :
٥٥	٢٤ / احتمال المصاعب :
٥٨	٢٥ / العزيمة الصلبة :



٦٠ / المنوعون من العلم:
٦٢ / السفر للعلم:
٦٤ / خير جليس:
٦٦ / المجالس الأنيقة:
٦٩ / كمال العقل:
٧١ / صيانة العلم:
٧٤ / استذاذ المشاق:
٧٦ / فضل الشيوخ:
٧٨ / أنس الدفاتر والسراج:
٨٠ / إضاعة الكتب:
٨٢ / الوجد على الكتب:
٨٤ / التفنن العلمي :
٨٦ / النية الصالحة :
٨٩ / نواء العلم:
٩٣ / مداولة الأفكار:
٩٥ / اليتيم الحقيقي :
٩٧ / القلب الواعي:
١٠٠ / النفوس الكبار:
١٠٣ / الفقيه المصدّر:
١٠٦ / رأس العلم:
١٠٨ / حلة العلم:
١١٠ / ينبوغ البيان:
١١٣ / التوقير في الكبر:
١١٦ / الكتابة الألفية:



الاستهلال

الحمد لله الأعزُّ الأكرم، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم وصلى الله وسلم على النبي الأعظم وعلى آله وصحبه وسلم .
أما بعد:

فلقد تنوعت كُتُبُ العلم وتعددت تصنيفا وتنبهًا ، في فضله وأدبه وآفاته وسمات أهله ، وخطط درسه ، وكيفية ضبطه وفهمه ، حتى باتت كالفواكه الشهية ، والأغصان الندية ، تجذبُ الناظرين ، وتسُرُّ القارئين ، وتعجبُ السامعين .

ولم يكن الشعراءُ بمنأى عن ذلك ، أو تقل حفاوتهم بالعلم بأهله ، بل سارعوا في تمجيده ومدح صفاته ، والتنبيه على آفاته ، ومن باب الحفاوة بما كتبوا ، والعناية بما أظربوا ، أحببنا تقريبها شرحًا

وتحليلاً ، وتفسيرها معنى وتنبئها ، وتوضحها فقهاً وتبيننا ، فإنَّ
فيها مما لذ واستطاب ، وزانَ واستطال ، وراقَ واستمال .

ومن لم يَمِلْ للشعر مألٍ لغيره ** * وكَدَّرَ منه منطِقٌ وملافظُ

فخذ من الشعر الجميل لُغىً ومعنى ، ولسناً ومفردة ، وسعداً
وسروراً ، وشارةً وتميزاً..! وإذا بزَّ الناسُ بالشرِّ وآلته ، ليكن لك
الشعرُ ودُّرُه وزينته ، فإنه من تفوق الأقران ، وفصل الخطاب ،
وعلامة الروعة والإبهاج .

لذاك جمعنا هنا (٥٠) بيتاً من طيب الشعر ورائقه، تحتوي
فضائل العلم وبعض آدابه وأخلاقه، وما ينبغي فيه، وغايتنا منها
تحفظ الطالب لها، ووعي معناها ومغزاها ، حتى تبيتَ شعاره ،
وموضعَ حديثه واستشهاده .

وهي من وسائل التلطيف الثقافي والأدبي ، بحيث يُجَمُّ بها نفسه ،
ويرقُّ حاله ، ويدفع غمَّه وملله ..

وللشعرِ جرُّسه ولطافته وحكمته ، الزائلة لكل كدرٍ ولوثة
واستثقال ، يُنشطُ الأرواحَ ، ويوقظ الهمم ، ويشحذ العزائم ،
ويجذب الأبصار . ومن فوائد تحسين العلم وتسهيله وتقريبه
على النفوس الكارهة والمشمئزة . ولذلك اندمج فيه خيار
العلماء وكتبوا ، ودونوا ، واستحسنوا ، ما كرهه إلا كاره
للعربية ، وهو يدرك أنه ديوانها ومحل أحاديثها وتاريخها وأيامها
!.. بل ضمَّنوه العلوم ، وضبطوا به الفهوم ، حتى خفَّت ولانت
وتيسرت .

وهنا نقرب آدابه وخصاله وفقهه بشيء من الشعر المنقول قديماً
وحديثاً ، راجياً من الله صحة الفهم وحسن القصد، ويتعين على
مشيخة الدرس العلمي تحبيب مجالسهم بمثل هذه المنتقيات
الأدبية ، ليلين العلم، وتندفع الصعاب، ويرتقي الذوق، ويصقل
اللسان ، ولا ريب أن المعول هنا على أساتذة الأدب وأقسام
اللغة العربية في بلادنا المباركة، والأندية الأدبية ، وتجلياتهم
الثقافية ، وقد تذلت لهم الأمور بفضل الدعم السخي من
الوزارات المعنية، فشكر الله جهدهم، وبارك فعالهم، والحمد لله
رب العالمين .

١/ فضل العلم :

العلم أفضل مطلوبٍ وطالبه * * من أكمل الناس ميزاناً ورُجحاناً

- أفضل نفائس الوجود ، وأطيب محاسن الدنيا ، علم يرفعك ، وفقه يقربك ، ومعرفةٌ ترتقي بها ، فما عرف القومُ إلا بالعلم ، ولا سادوا إلا بالكتب وجمعها ، والفقه وحذقه ..! ولو سألت العظماء والزعماء عن حاجتهم وما يتمم ملكهم وعزهم ..! لقالوا لك العلم وهيبته ، والفقه وطيبه ، والكتب ومعرفتها ، والأسفار ومعانيها ..!

- لأنها بغيةٌ لا يحصلها المال ، ومنزلةٌ لا يجتلبها المنصب .. نعم قد يقربها ، ولكنه لا يملكها مباشرة ، إذ لا بد لها من مقدمات ووسائل وهي متعذرة عند أكثرهم ، ولكن يكفي

لهم شرفاً محبتهم ودعمهم وبناء المدارس لهم وطباعة
كتبهم، فهو من مفاخر الدنيا ، وتجارة رابحة ، ورائحة عند
الله تعالى .

- وأما طالبه وحامله، فلا يعادله أحدٌ شرفاً ، ولا يضاهيه
شخصاً مكانةً.. كما قال : من أكمل الناسِ ميزاناً
ورجحانا ..! فالكلُّ يحتاجه ، والجميع يعول عليه ، وبقدر
صدقه يكتبُ له القبول ، وتوضع له المحبةُ في النفوس ..
فتلقى ذكره في كل مكان، وتضوعُ غراسهم في المشرق
والمغرب دون تعب ومجالدة، والله الموفق .

٢٠ قوة العلم:

هو العصبُ المهندُ ليس ينبو *** تُصيبُ به مقاتلٌ من أردتا

• هذا من أحسن أوصافِ العلم ومدائحه، فهو كالسيف

المهند، لا تعتريه نبوةٌ ولا سقطة، ولا يسقط على شيءٍ إلا

قصمه، تضعه على الجهل فيزيله، والغباء فيفريه، والخرافة

فيلغيها، والضحالة يسحقها، والأعداء يُرهبُهم، والمنافقين

يدحضهم، والمتشككين فيداويهم..

• والسببُ ما فيه من قوةٍ دامغة، وحجةٍ قاطعة، وبرهانٍ مبين،

ودليلٍ مقنع.. وفيه أنوار ملهمة، وأضواءٌ مشرقة، تدحضُ

الظلم والظلام والأوهام.

- وفي قوله : تصيبُ به مَقَاتِل من أردتَ... بيان على استيلاء العلم وعلوه على كل الخصوم والأقران والأعداء ، بفضل قوته وإحاطته ، وحُسنِ توهجه واكتماله ، وهذا شيء لا يدركُ بوسائل الدنيا المعروفة، فأنت تصيب به مواجع المرء، ومواضع قتله وإنهائه...! ومع ذلك لا يجوز استعماله تعاضماً وتفاخراً إلا على الأعداء والمنافقين ، نصرةً للإسلام، وليس للذات والمصلحة الشخصية والسلام...!

٣ / عزة العالم:

وَلَمْ أَبْتَدِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي * لِأَخْدِمَ مَنْ لَاقَيْتُ، لَكِنْ لِأُخْدَمَ

- كذا ليكن العالمُ عزيزاً متعففاً ، شامخاً بالعلم وصوره، ولا يتذله عند أحد، ولا يتطلع به إلى ما في أيدي الناس ، فيستخفون به، ويمجّون عطاءه ورواءه وجماله...! بل لن يبقى له جمال، ولا قيمةٌ حينها، ...مصدق النص النبوي :
(وازهدي ما عند الناس يحبك الناس).

- وفي القرآن الكريم : (قَالَ أَتِمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرًا مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ) سورة النمل . لأن الليونة لها هزيمة مبكرة ورضوخ مبدي ، واغترار خادع من شأنه أن يذيب الأخلاق ، ويذهب التمسك، ويسحق كثيرا

من المبادئ والقواعد الثابتة، فالتباعدُ عنها غنيمَةٌ

ومنجاة...!

• وقبيحٌ بمهجةٍ تعبتُ في العلم، وسهرت في مسأله، وأرقت

في حفظه، وتهملت لجمعه، أن تبعه بيعَ السماح، وتنزله

تحت البطاح، وتورده مواردَ الجُناح، والله المستعان. وفي

القصيدة من جميلها وهي للقاضي للجرجاني الشافعي

رحمه الله :

وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كَلِّمَا * * * بَدَا طَمَعٌ صَيْرْتُهُ لِي سُلْمًا

إِذَا قِيلَ : هَذَا مَوْرِدٌ، قُلْتُ : قَدْ أَرَى وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا...

نسأل الله الثبات، والله الموفق .

٤ / شرط العلم :

أَبَيْتُ سَهْرَانَ الدُّجَى وَتَبَيْتَهُ * * نَوْمًا وَتَبَغْيِي بَعْدَ ذَاكَ لِحَاقِي

- نعم لا يُنالُ العلمُ بمنامٍ طويلٍ ، أو راحةٍ مستديمةٍ ، أو لذاتٍ وسِعةٍ...! بل لا بد له من سهرٍ وتعبٍ ، وهمٍّ وجلدٍ ، كما قال الإمام يحيى بن أبي كثير رحمه الله: (لا يُستطاعُ العلمُ براحةِ الجسدِ). فالذي سهرَ وأفنى الساعاتِ بحثًا واطلاعاً ، وحفظًا واستماعًا ، لن يدركه مدرِّكٌ ، ولن يضاهيه مضاهٍ ، أو يصلَ إليه متمنٍ وحاذقٍ ...

- لأنَّ من شرطِ النبوغِ العلميِّ التعبَ العلميِّ ، والهمةَ العاليةَ ، والعزيمةَ المشتعلةَ جدًّا وعملاً ومثابرةً (والذين جاهدوا فينا

لنهدينهم سبلنا) سورة العنكبوت .

- وكل من أفلح في علمٍ أو عملٍ أو إنتاجٍ أو غراس، سبقه وقتٌ محصول، وهمة ضالعة، أو إصرار قائم، وإقبال صادق... وتباعد كل التباعد عن إضاعة الأوقات، أو حرق الساعات، وتتبع الشهوات، والغوص في الملذات...! وحتى على المستوى الدنيوي والذي ليس له علاقة بالعلم وطلبه، تلقى أهله جادين في تجاراتهم مثلاً، وحرصاء في استغلالها وقتاً وهمماً وتفكيراً، والسلام.

٥/ تصدير الجهال:

وأقبحُ جهلٍ في بني الشرق أنهم * * يُسمُّون أهلَ الجهلِ بالعلماءِ

- من تعاسةِ البيئات المتخلفة، والمراجعة حضاريًا وفكريًا وصفُها الجهال بالعلماء وتصديرُهم في المجالس والمناصب، وجعلهم قادةَ الناس وشامتهم، والسببُ: عدمُ القدرة على التمييز، أو امتهانُ العلم، والنظر للمال ومصالح دنيوية أخرى ...

- ولا يعالج ذلك إلا تغييرُ النظرة للعلم ومجالاته، واعتباره ركيزة الحضارة والنمو والازدهار، وتجسيد العلم وتجذيره في حياتنا، تدريسًا وانتشارًا ووعيًا...! لأنه إذا لم يتم ذلك تضاعفت البليات والإخفاقات، وسادت مفاهيم قاتلة

وموحشة ، نبّه عليها الحديث النبوي، قال عليه الصلاة
والسلام : (حتى إذا لم يُبقِ عالمًا اتخذ الناس رؤوسا
جهالا).

• رُفِعوا جهلاً ، أو لأجل حظوظهم الدنيوية ، يدعون العلم،
ويزعمون الفقه والرشاد .. كما قال عقيبه: وأكبرُ مظلومٍ هو
العِلْمُ عندهم... فقد يدّعيه أجهلُ الجهلاء! لأنّ أنوار العلم
مخفية، وسرَج الهدى مغلقة، والجهالات لها وقعٌ وموقعٌ
وقيعان، يجول فيها كلُّ رائدٍ وراغبٍ وطامح ، والله
المستعان.

٦ / العلم المنزوع:

لا تحسبن العلم ينفع وحده * * ما لم يتوج ربُّه بخلاقٍ

- ثمة علوم وعلماء يتحررون من أخلاقهم ، ويتعاملون مع العلم وأدواته تعاملًا ماديًا صرفًا، فيصبح عطاؤهم منزوع الشمائل ، معدوم الأخلاق ، مجرد الرقائق ، يتعاطى بشكل فج قاسٍ، قد تجرد من متعة ورقة وانسياب ، والله المستعان .

- فحينئذ لا يُنتفع بعلمهم لا في ذواتهم أو بيئاتهم ، وتصبح أنوارهم مظلمةً، ومصابيحهم عابسة، وأثارهم خافتة، لا يختلفون كثيرا عن الجهال والمرترقة والسذج...! إذ لا

يبقى لهم إلا مجرد الاسترزاق بالعلم ، وبذله في غير أهله ،

والتكسب به دنيا ومتاعا وانتفاعا . ولذلك قال عقبه :

والعلم إن لم تكتفه شمائلٌ ** عليه كان مطية الإخفاق

لأن الأخلاق أس فيه، وعمادُ جريانه، ومقلاعُ بركته ، قال صلى

الله عليه وسلم: (إن العبد ليذكرُ بحُسنِ خليه درجة الصائم

والقائم) . وقال الحسنُ رحمه الله: (إن كان الرجلُ إذا طلب

العلم لم يلبث أن يُرى ذلك في تخشعه ، و بصره ، و لسانه و يده و

زهده) .

١٧ مرارة التعلم :

وَمَنْ لَمْ يَذُقْ مُرَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً ** تَجَرَّعَ ذُلَّ الْجَهْلِ طَوَلَ حَيَاتِهِ

- في العلمِ مراراتٌ ومتاعبٌ، منها العكوفُ والسفرُ، وتحملُ النقدِ والسخريةَ ، وكثرة جفاء الشيخ ، وصراع الأقران، والتعثُرُ أول الطريق ، وعسرُ الحفظِ والفهم .. ولكنها سرعان ما تزول بالصبر والتصبر، وطول الهم والإصرار..

- ومن لم يحتمل تلك المرارة فاتته حلاوة العلم، وطلاوةُ الفقه، ومكانةُ المعرفة ، ومنزلةُ الدراية ، وباتت مذلاتُ الجهل باديةً عليه ، يراها الغادي والرائح ، ويدريها القاصي والداني .. ومن طريف ما يحكى عن ابن عباس رضي الله عنه، أنه سئل : كيف نلتَ هذا العلم .. فقال : **(ذللتُ طالبًا**

فعرزتُ مطلوبًا). وشبه ذلك جواب الإمام الشعبي رحمه الله

قال: (بنفي الاعتماد ، والسير في البلاد ، وبكور ككور

الغراب ، وصبر كصبر الحمار). وفي الصبر تعرض لمرارات

ومحن ، ومتاعب وشدائد ، ولكنه تجاوزها بالصبر المتين ،

والاحتمال العميق .

• وقد اشتهر قول عمر رضي الله عنه : (أدركنا أطيّب عشنا

بالصبر) . ومن لم يصابر في الحياة ، ويحتمل رزايا الحياة

العلمية ، لم يتجاوز صحاري المذلة ، وقفار الهوان ، ولذلك

قال الشافعي رحمه الله :

إصبر على مرّ الجفا من معلّم * * * فإنّ رُسوب العلم في نفّراته

ومن فاته التعليم وقت شبابه * * * فكبر عليه أربعاً لوفاته

وَذَاتُ الْفَتَى وَاللَّهِ بِالْعِلْمِ وَالتُّقَى، إِذَا لَمْ يَكُنَا لَا اِعْتِبَارَ لِذَاتِهِ وَالتُّقَى لَنْ
يُنَالَ بِدُونِ صَبْرٍ.. وَالْعِلْمُ لَا يَحْرُزُ بِغَيْرِ اِحْتِمَالٍ وَإِصْرَارٍ..
وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ..،،

٨ / بناية العلماء والمعلمين :

أعلمت أشرفَ أو أجلَّ من الذي * * يبنى وينشئ أنفساً وعقولا

• لا ارتيابَ أنها أشرفُ بناية ، وأعلا معمار ، حيث تقدمتها

عنايةً جادة ، وغرسُ حسن ، وعطاء مبارك ، واحتمال

وتهمم ، نتج عنه عقولٌ ثابتة ، وهممٌ سامقة ، وعزمات

مشتعلة ، ضربوا في شتى مجالات الحياة ، ونفع الله بهم دعاةً

ووعاة ، وهداةً وبناءً ، في خير أمتهم وبلدانهم .

• وإذا كان الأبوانِ ينشئان الأبناء بعد الله وجوداً وتربية ، فإنَّ

العلماء والمعلمين لديهم الإنشاء العقلي ، والبناء المعرفي

والخلقي ، وقد يتممون بناء الأبوين ويضاعفون عليهما ،

ويجعل الله على أيديهم صلاحًا فائقًا ، وبناء نادرًا ، وقوةً

مرتقبة .

- وهذه من أشرفِ وظائف الحياة ، ومن أجلِّ مهمات المعيش ...
ووعيتها يتطلبُ مزيدًا من العمل والمصابرة، وحُسن
الصناعة ، واحتساب الأجر، على الأجيال والناشئة ، واعتقاد
أن صلاحهم صلاحًا للبلد والناس والجيل والرعيل،
وسيورثون تلك المعالم التي ورثوها من أساتذتهم ، وتنتفع
بها الأمم والوفود لاحقًا.. ويقول شوقي فيه أيضًا :

فَهُوَ الَّذِي يَبْنِي الطِّبَاعَ قَوِيمَةً * * وَهُوَ الَّذِي يَبْنِي النُّفُوسَ عُدُولًا

وَيُقِيمُ مَنْطِقَ كُلِّ أَعْوَجٍ مَنْطِقٍ * * وَيُرِيهِ رَأْيًا فِي الْأُمُورِ أَصِيلًا

وَإِذَا الْمُعَلِّمُ لَمْ يَكُنْ عَدْلًا مَشَى * * رُوحَ الْعَدَالَةِ فِي الشَّبَابِ ضَيْلًا

١٩ / منية العالم :

مناي من الدنيا علوم أبثها * * وأنشرها في كل بادٍ وحاضرٍ

- حقُّ العلم وقد فتحَ اللهُ به، تبليغُه ونشره في الآفاق، وأداء زكاته، وإذا استمكنَ هذا المعنى من الشيخ والداعية حرص عليه، وقاتلَ دونه، وبات له منيةٌ ونعمة، لا يستطيع تركها أو يسلو من دونها.. (ومن أحسنُ قولاً ممن دعا إلى الله) سورة

فصلت . كما قال هنا : وأنشرها في كل بادٍ وحاضرٍ...

- والناسُ حاجتُهُم إلى العلماء الدعاة أكثرُ من حاجتهم إلى الطعام والشراب، فهذا في وقت دون وقت، وذلك بعددِ الأنفاس . ثم قال مبيناً تلك العلوم : دعاء إلى القرآن والسنن التي... تناسى رجالٌ ذكرها في المحاضرٍ... كدرسِ القرآن

والسنن بأنواعها ، ما اندرس من العلوم المفيدة ، وإحياء
السننِ الصّحاح ، والطيبات المِلاح من علوم تجاهلها أقوامٌ
خجلاً أو غفلةً، والناسُ في أمس الحاجة إليها...

• فهذا منيةُ العالمِ الصدوق ، والداعية المحترق على الإسلام
وفضائله وحرماته ، يتلذذ بنشره ، ويمارس دورَ الأنبياء ،
فيحيا القلبُ، وتنشُرُ النفوسُ، وتطيبُ أرجاءُ الحياة ... ثم
إنَّ درسه العلمي لا يمنعه من الاستجابة الفدائية لله تعالى
جهاداً ودفاعاً عن الدين والأعراض والثغور ، فقال بعدها:

وَأَلْزَمَ أَطْرَافَ الثُّغُورِ مُجَاهِدًا إِذَا هَيْعَةٌ ثَارَتْ فَأَوَّلُ نَافِرٍ فَيَجْمَعُ

الإسلام قوله وعملاً. وهذه الاستقامة الحقيقية..

والسلام .،،

١٠ / الفهم السقيم :

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً * * * وآفته من الفهم السقيم

- في المجالس العلمية يقع النقدُ والجدالُ والمناظرات ، وكمية الأفهام السقيمة فيها ليست قليلة، ... ولذلك وجب الانتباه ووعي الكلام وعدم الاستعجال، وحضور الحجة في مظانها ، ولهذا قال المتنبي هنا ، ومن جيّد شعره : وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً .. وآفته من الفهم السقيم ... وهو ينشأ من قلة العلم، وحبّ الظهور ، وآفة الاستعجال ، ومحبة الانتقاد المطلق ، وتشهي الحديث ، وطعن الآخرين ، وتشوش الرؤية ، وسوء الطوية .

- وهذه آفة يُبتلى بها بعض صغار الطلبة في أول العلم ومقدماته، والواجبُ تعميق التأهل ، وديممة الاطلاع،

والغوص العلمي، والفهم قبل النقد والتعقب. ومن
الجميل المنقول عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "
العلمُ نقطةٌ كثرتها الجاهلون". أي بسبب كثرة أسئلتهم
وتخبط فهمهم، ودوام مراجعاتهم، فبيتُ المتن المعلوم
المحدود، شروحًا وتعليقات وحواشيا، حتى تغيب المادة
الأصلية.

- ولذلك نصيحة ذهبية للطلاب : لا تستعجل النقد كلاما ولا
تأليفاً حتى تستوضح القضية، وتفهم منافذ الخلل
والإشكال.. ولذلك قال عقيبه: ولكنْ تأخُذْ الآذانُ مِنْهُ...
على قَدْرِ القَرَّاحِ والعُلُومِ! فتعمق ثم علق، وتعلم ثم تكلم،
وتفهم ثم تبرّم، والسلام .

١١ / اقتضاء العلم العمل:

يا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ * * هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ

- ليس يَحْسُنُ أَنْ تَكُونَ مُعَلِّمًا بِلا عَمَلٍ، وداعيةً بلا اقتداء ،
وناصحًا بلا امثال...! بل تكون أنت أول المبادرين ، وخيرَ
المسارعين ، كما قال تعالى : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ أَنْفُسَكُمْ
وتنسون أنفسكم) سورة البقرة . وعن أبي الدرداء رضي الله
عنه قال : "إنما أخاف أن يكون أول ما يسألني عنه ربي أن
يقول : قد علمتَ فما عملتَ " .

- وحينها يجدي التعليمُ، وتسطعُ الدعوةُ، ويعم الخيرُ، ولكن
يقبل الناس من عالمٍ متناقضٍ ، أو داعيةٍ متلاعبٍ، أو ناصح
مترخص... ولذلك قال فيها أيضًا:

لا تَنَّهُ عن خُلُقٍ وتَأْتِي مِثْلَهُ ** عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

وإِذَا بِنَفْسِكَ فَانْهَافًا عَنْ غِيَّهَا ** فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ

والعلمُ مسؤولٌ عنه يوم القيامة (وعنِ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ).

• ومهما بلغَ علمُكَ ، أو سما فضلُكَ ، فلا بد أن يُرى عليك

العلم ، وتكون من العاملين الفضلاء ، دينًا وسمتًا واقتداءً

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) سورة الأحزاب .

وحيثُ تكمُلُ لك الحكمة ، وتبلغ النعمة ، وتنال

العظمة ، لأنك سلكت سلوك الأنبياء ، ونهجت نهج

الصلحاء ، الذين يقدرُّون هبة العلم ، وعبء أمانته (وحملها

الإنسان إنه كان ظلوما جهولاً) سورة الأحزاب .

١٢ / فئات رفعتها العلم:

العلمُ ينهضُ بالخسيس إلى العلى ** * والجهل يُقعَدُ بالفتى المنسوبِ

• كم من فقراء محقّرين في أذهانِ الناس ، رفعهم العلمُ، وامتن

الله عليهم بفضلِهِ، وأفاض عليهم من رحماته، فنزلوا منازل

عليا في العالمين ، وصارَ لهم ذكر ومجدٌ متين ..! وفي

المقابل أشرافٌ نساء، صاروا بالجهل مغمورين لا مجدَ لهم

ولا مكانة، إلا شيئاً مقدوراً .. (يرفع اللهُ الذين آمنوا منكم

والذين أوتوا العلمَ درجات) سورة آل عمران.

• وحينها ندركُ فضلَ العلمِ على المجدِ والمالِ والمكانة، وأنه

يصنَعُ المكانةَ ، ويبلِّغُ إلى الأمجاد ، ويسوق الدنيا إليك

طواعيةً، منقادةً تجرُّ أذيالَ الهزيمة ..! لأن في العلم طاقةً

تفوق كل الطاقات والقوى ، ولديه سحر يخطفُ بالأبصار .

وحفظ التاريخ لنا قصصا تلابنَ فيها عظماء لعلماء كانوا

مواليَ ومستضعفين ، رفعهم اللهُ بالعلم وطلبه .

• ومن ذلك قصة الخليفة سليمان بن عبد الملك الأموي مع

العلامة عطاء بن أبي رباح رحمه الله في الحج وقد جاء

لاستفتائه وتأخر كثيرا حتى رد عليه : يقول: هذا الذي رأيتُهُ

يا بنيّ، ورأيتَ ذُلنا بين يديهِ هو عطاء بن أبي رباح، هو نفسه

صاحبُ الفتيا في المسجد الحرام، ووارث عبد الله بن عباس

.. يا بنيّ، تعلّم العِلْم، فبالعِلْم يشرّفُ الوضيع، وينبهُ الخامل

، ويعلو الأرقاء على مراتب المُلوك . والسلام .

١٣ / جمال العلم:

في ازدياد العلم إرغام العدى ** * وجمال العلم إصلاح العمل

- العلم الجميل يكمن في عملٍ قائم ، واتباع مشهور ، وقدوة موروقة، وتطبيق متوهج، تتجلى فيه السنن ، وتشع الخيرات، وتوقر الشرائع ... وجمال العلم إصلاح العمل ...
- ومن المؤسف صرنا في زمان حفاظه أكثر من عماله ، وقرأؤه أعظم من حملته، فكم من حفاظ ولا عمل ، وكم من دعاة وهم مقصرون في المبادرة والتطبيق ، والله تعالى يقول : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) سورة آل عمران. ولذلك يعظم عندنا، ويطيب في حياتنا ذلك العالم العامل الذي لا يقف على آية أو سنة إلا تبارها

وطبقها بلا تردد، وإذا نوقش في أمر سارع إليه ، وامثله..

(وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ..) سورة آل عمران.

• ويتحقق ذلك بتعظيم الله تعالى، وتهيب العلم ، والتفكر في

أمانته ، والخوف من عواقبه، وأن حملته ورثته

الأنبياء ، وأتباع الصلحاء ، وأشباه الأولياء ، قال أبو حنيفة

والشافعي رحمهما الله : (إذا لم يكن العلماء أولياء لله فليس

لله ولي) . وتلك الولاية تتطلب دينا راسخا وعلما جميلا ،

واتباعا خالصا ، والسلام .

١٤ / تفضيلُ العلماء:

أقدمُ أستاذي على نفس والدي ** * وإن نالني من والدي الفضلُ والشرفُ

- كما للأبوين فضلٌ ومنزلةً، فللعلماء الذين تعلمت منهم فضلٌ أكبر ومنزلةً، جراء ما فعلوا لك من خيرٍ وهدايةً، وتربية ورعاية، يضاهي جهدَ الأبوين، وقد يفوقهما حنوًّا ورعاية وحفاوة..! فلا يليقُ بعد ذلك تجاهلهم أو نسيانُ دورهم...

- ولذلك فإنَّ الطالبَ الواعي الخلق يعرفُ حقَّهم، ويرعى

فضلهم، ويقدمهم في مجالات كثيرة، كما قال هنا :

أقدمُ أستاذي على نفس والدي ** * وإن نالني من والدي الفضلُ والشرفُ

فذاك مربِّي الروح والروحُ جوهرٌ ** * وهذا مربِّي الجسم والجسمُ من صدفُ

- فما وضعه المعلمُ من خيرٍ وتزكية في الروح يتجاوز فضل الجسد ، فقد اعتنى بالعقل والقلب، وصنع النفس وزكاها ، وعلم الأخلاق ونماها ، بينما الآباء عنايتهم غالباً على الجسد وسلوكه وحركاته وتطلعاته، وقد يغفلون عن التربية الروحية، وهي في غاية الأهمية ، ولذلك كان فضلُ العلماء عظيماً من هذه الجهة ، واشتهر قولُ بعضهم: (مَنْ علَّمَنِي حرفاً صرت له عبداً) وهي محمولة على التوقير والتأدب، وليس الهوان والسكوت السلبي ، واللهُ الموفق.

١٥ / قيمتك العلمية :

وقيمة المرء ما قد كان يحسنه * * والجاهلون لأهل العلم أعداء

• إذا وفقت للعلم فقد وفقت لأحسن الخصال ، وأطيب

الشيء ، فخذ منه واستكثر ، ولكن تخير منه واصطف ، فليس

كله يجمع ، وليس جلّه يجتنى ..! لأنه أنواع وفنون ، فتخير

منه ما تحسنه فهو مجدك وفخارك ... ولا يظهر فضلك

العلمي إلا بحسن الاختيار ، وصحة التوجه ..

• وكم من همم عالية ، وعقول متدفقة ، ضيعت وجهتها ، فلا

هي جمعت ولا هي أتقت ، لأن الجمع عسير ، والإتقان فن

وانضباط .. وهذا من فقه العلم ، وحذق طلبه والحرص

عليه ..

- والمراحل الأولى والشيخ المهرة يساعدونك في ذلك، ويدلونك على الميل المناسب والفن الرائق لك ، سواء كان عقيدةً أو حديثاً أو فقهاً، ولا يعني ذلك الجهالة بالبقية ولكنه الإتيان والإنتاج ، وحسن التدقيق والنبوغ ...
- والتفنن الذي وُفق له الأسلاف ، بات عزيزاً في هذه الأعصر ، ولكننا نفرح بظهور عباقرة من هذا النوع ، وليس كل الطلاب عباقرةً هذه الأيام ، يفعلون فعل السلف جدا وهممةً وتحصيلاً ، ... لا تأتئين بذكرهم مع ذكرنا... ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد.. وكما قال أبو عمرو بن العلاء رحمه الله:
(نَحْنُ فِيمَنْ مَضَى إِلَّا كَبْقَلٍ فِي أُصُولِ نَخْلِ طُوالٍ). والسلام

١٦ / حلاوة العلم:

فلو قد ذُقتَ من حلواه طعمًا ** لآثرتَ التعلُّمَ واجتهدتا

• للدنيا مزاهرٌ وحلويات ، يعتقدُ كثيرٌ منا أنها في المال، أو

المنصب، أو الجاه الواسع ، أو السياحة والتلذذ بالأسفار...

!! ولكنها عند أناس آخرين عرفوها حقَّ المعرفة ، وجدوها

في لذة العلم، وخصلة الطلب، ودوام القراءة والانهماك

العلمي ، كما قال الألبيري رحمه الله : **فلو قد ذقتَ من حلواه**

طعمًا..! لأن فيه طعمًا يفوق طعومة المال والجاه والمنزلة،

وجلها تتصاغر عند متعته وجماله...

• ولذلك من الخطأ عند العقلاء مقارنته بما دونه من متاع

الحياة الدنيا.. ويؤكد ذلك بقوله:

ولم يشغلك عنه هوى مطاع * * ولا دنيا بزخرفها فنتا

ولا ألهاك عنه أنيق روض * * ولا خدر بزيتها كلفتا

• فمهما تقلبت في زينة الدنيا وبها رجها واستمتعت كثيرًا فلن

تظفر بما في العلم وجنته ، وهواه ونسائمه ..

• فعلاوة على ما في العلم من مجدٍ وحصيلةٍ ذهبية، فيه سعادة

نادرة، وحلاوة فاخرة، ومنتعةً سابغة ، لا يعثر عليها بمال ولا

ثروات ولا متاعب دنيوية..! لأنها وإن تحصّلت تبقى

السعادة المنقوصة ، والمتعة المسلوبة ، وعقلاء القوم قد

أدركوا ذلك في القديم المدون تاريخًا وأحوالًا، وماتوا

بحسراتهم رغم أموالهم...! والسلام .

١٧ / شيبُ الهمة:

ما شابَ عَزْمِي ولا حَزْمِي ولا خُلُقِي * * ولا ولائي ولا ديني ولا كرمي

• قد يشيبُ رأسُك في وقته أو مبكرًا ، وتحس بالشيخوخة المهلكة ، ولكن حاذرُ أن تشيبَ همتك ، أو تفتر عزميتك .. !
لأنها لو شابت لضعفَ النشاط وقل العمل ، وعادت عواد
فيك غير قليلة... ولن يبقى للعلم مقام ، ولا للدعوة سعي ،
ولا التأليف كرامة ..

• ولذلك حافظُ على همتك ، وتمم نشاطك ، والتزم منهجك ،
وسل الله الثبات والإصرار.. واعتبر ما جرى من شيب هو
شيبُ الرأس المعروف ، الذي يصيب الجميع .. كما قال
بعدها : وإنما اعتاض شعري غيرُ صبغته... والشيبُ في

الشعر غيرُ الشيب في الهمم...

- ومن المؤسف نجد لرجال الغرب الشيوخ منهم، همما وعملاً ونشاطا في الكبر، ولبعض عربنا كسلا وتعبا وترهلا، كما قال عمر رضي الله عنه: **(جلد الفاجر وعجز الثقة)** فاعكس هذا النظرة واستقو بدينك وذكرك ربك، وردد الأوراد المشهورة، وتفقه من همم السلف، وعملهم في الكبر، وكتابتهم في الشيخوخة، وتدريسهم حال التعب والسفر... فربّ همّة أحييت أمة، وأشعلت قمة، **والله الموفق .**

١٨ / قطرة المداد:

لَوْ أَنْصَفَ النَّاسُ كَانَ الْفَضْلُ بَيْنَهُمْ * * بِقَطْرَةٍ مِنْ مِدَادٍ لَا يَسْفِكُ دَمًا

- نعم قطرة المداد تعني العلم والفهم والكتابة ، وهي أدوات العلم، ونوافذ الاستنارة ، وهي التي تحيي الأمم ، وتنهض بها، وتقيم حضارتها ، خلافاً لسفك الدماء بغير حق ، والبطش بالخلائق كما تصنع الأمم المتجبرة هذه الأيام ، وتعتقد أنها بظلمها الآخرين تسود وتعاظم ..

- وقطرة المداد تبني وتؤسس وتضيئ، بينما قطرة الدم سفك ودمار وخراب .. ولا تجوز إلا لدرء العدوان ، ومن اتصف بالخصلتين فقد من شرفه بقدر سقوطه في الدماء المحرمة، والله المستعان . ولذلك قال فيها أيضاً:

بِقُوَّةِ الْعِلْمِ تَقْوَى شَوْكَةُ الْأُمَّمِ فَالْحُكْمُ * * فِي الدَّهْرِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَلَمِ
كَمْ بَيْنَ مَا تَلْفِظُ الْأَسْيَافُ مِنْ عَلَقٍ * * وَبَيْنَ مَا تَنْفُثُ الْأَقْلَامُ مِنْ حِكْمٍ

- فتتأج العلم والقلم وأثارهما عظيمةُ العماد، عاليةُ الفخار،
وسيعَةُ المنال، تذهب مذاهب الرياح في الآفاق، وتنشر
الورد والخزامى في كل مكان. وانظر لنساء المسلمين في
حضارتهم الأولى على العالم الآخر ونتائجهم العلمي،
وكيف تجاوز الفرس والرومان، ودمارهم التخريبي
وحروبهم الموجهة بلا خيرٍ ولا منفعة، واللهُ المستعان.

١٩/مقدمات العلم :

أخي لن تنال العلم إلا بسبته * * سأنبيك عن تفصيلها بيان

- للعلم شروطه ومقدماته التي تُذكر في كل زمان وحين، وينصُّ عليها العلماء والمؤلفون في أدب الطلب ، ومن أحسن من جمعها الإمام الشافعي رحمه الله في بيته الشهيرين: أخي لن تنال العلم إلا بسبته. ثم قال : ذكاءٌ وحرصٌ واجتهادٌ وبلغةٌ .. وصحبةٌ أستاذٍ وطولُ زمانٍ ... **فأولها:** الذكاء والألمعية المستعدة للفهم والحفظ والإتقان . **وثانيًا:** الحرص المضاد للكسل والإهمال ..
- **وثالثًا:** الاجتهاد المستغرق للوقت والطاقة، والعائف لليأس والهزيمة والذبول . **ورابعًا:** البلغة الدنيوية من المال

والأعوان المذلة للعلم ومشاقه . **وخامسا** : صحبةُ الشيوخ

والأساتذة ، والتزامهم بلا تأفف أو خجل ..

• **وسادسا** : طولُ الزمان والخبرة المتعمقة في التحصيل ،

والمجربة لدواخلِ العلم وحكمه وعجائبه ، بحيث لا تصدر

إلا بعد مراس ، ولا تؤلف إلا بعد تجريب ، ولا تفتي إلا بعد

تأصيل وتدريب ، ومن استعجل فقد تبهلل ، ومن ألف فقد

استُهدف ، وزببَ قبل أن يتحصرم ، **والله المستعان** .

٢٠ / العلم ودفع الغربة:

وإن حل أرضاً عاش فيها بعلمه * * وما عالمٌ في بلدةٍ بغريبٍ

- يغتربُ كلُّ الناسِ ويحسونَ بآلامِ الغربة، ولوعةِ الفراق، إلا العلماء فإنهم بفضلِ الله عليهم ، يقومون بواجبِ العلم تدريساً وتفقيهاً ، فتزول عنهم الآلام ، وتخفُّ عنهم الذكريات ، ويستطيون المكان ، وقد يُمكنُ لهم تمكيناً عظيماً فيه، حتى يصيرَ بلدَهُم وأنسَهُم وراحةَ بهم... كما قيل: وما عالمٌ في بلدةٍ بغريبٍ..

- وكيف يغتربُ من العلمِ كلامُهُ، والفقهُ أنسهُ، والتعليمُ رسالته، والإفادةُ أخلاقه ، والبلاغُ نسمةً وتمعته.. وعندها لا غربة ولا متاعب.. وإنما تنشبُ الغربة بأظافرها في فارغ

الذهن ، كثير الهموم ، عديم الأهداف ، قاعد على هامش

الحياة.. فهو من تؤثر فيه ، وتنهشه برزاياها وأنكادها...

• وكما تُدفعُ الغربةُ بالعمل والتجارة ، وحبّ السياحة

والارتحال ، والزواج والانشراح ، فإن خير ما يدفعها

للعلماء، القيام بعلمهم ، والانطلاق بدعوتهم ، والسعي في

تربيتهم وبرامجهم النافعة (ومن أحسنُ قولاً ممن دعا إلى

الله) سورة فصلت . وصحّ قوله صلى الله عليه وسلم : (فوالله

لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النعم) . بل

ربما تفجرت علوم ومواهب في الغربة، وقد قيل :

فغرب ولا تحفل بفرقة موطن ** تفز بالمنى في كل ماشئت من حاج

فلولا اغتراب المسك ما حل مفرقا ** ولولا اغتراب الدر ما حل في التاج

والله الموفق.،،

٢١ مقبرة الجهل :

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتُ لِأَهْلِهِ * * وَأَجْسَادُهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورٌ

• لا يمكن لعاقلي أن يصفَ شناعةَ الجهلِ على أهله وفي

المجتمعات ، والإفرازات الناتجة عن انتشاره، فهو كمقبرة

موحشة، وصحراء قاحلة تعيشُ فيها الموبقات ، وكما قال

الإمامُ ابن القيم رحمه الله: (أما شجرة الجهل، فتثمر كل

ثمرة قبيحة من الكفر والفساد والشرك والظلم، والبغي

والعدوان والجزع والهلع ..). ولذلك قال هنا : وأجسادهم

قبل القبور قبورٌ...

• فليس في المجتمعِ الجاهلِ ذرَّةٌ من عقلٍ ولا وعيٍ ولا نباهة

ولا استنارة ، ويغصُّ بالتخلف والنزاع والسماجة،

والشركيات والبدعيات ، وسوء الفهم ..! وأهله موتى في حياتهم ، ولو كثرت أموالهم ، أو تضخمت مناصبهم ، فإنها لن تزيل جهالتهم ، أو تذهب تخلفهم...! قال علي رضي الله عنه : (كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ضعةً أن يتبرأ منه من هو فيه ، ويغضب إذا نسب إليه).

• والواجبُ حينئذٍ معالجةُ هذا البلاء ، وإزالة هذا الداء ، والعمل على تجذير رايات العلم، وترسيخ أنوار الهداية ، ويكفي كل مسلم شرفاً ان أول آيةٍ في كتابنا (اقرأ) ، وهي دعوة للتعلم والوعي، ودرء الجهالة والتخلف، والتي ينتج عنها الإيمانُ وحياة القلوب ، وانسراح الأرواح ، والنماء

الفكري والحضاري، وفي القراءة ارتقاء وجنان ، وفوز

وسلوان (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهل الله له

به طريقاً إلى الجنة) . والسلام .

٢٢ / فقر العلماء:

قلتُ للفقير: أين أنت مُقيم * * قال: في عمائم الفقهاء

- امتزجت حياة العلماء بالفقر والمتاعب، بسبب انقطاعهم التام، وخلوصهم له، وتركهم التجارة، وتعسر الجمع بينهما، ولذلك يعيش أكثرهم فقراء، مساكين في الناس، ولكنهم مرفوعو الرؤوس، عظيمو المنازل، بسبب احتياج الناس الى علمهم وفضلهم ..

- ولذلك سكنهم الفقر، وحال دون البيع والشراء والاستغناء الذاتي، وإن كان لا بد لهم من ذلك، ولكنه يتنافى والعلم وتحصيله ... ومع ذلك فهم مأمورون بالحذر والاستعفاف،

والتباعد الدنيوي... ولشدة لصوق الفقر بحياة العلماء قال

عقبه:

إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لِإِخَاءٍ * * وَعَزِيزٌ عَلَيَّ تَرْكُ الْإِخَاءِ

- وغنى العلماء في عفتهم الدائمة ، ودعوتهم القائمة ، ومؤلفاتهم السائرة ، وتزكيتهم العابقة ، ومثل ذلك يشغلهم ديمة الزمان ، ولا يتيح لهم ساعةً للمتاجرة والاكتساب ، وتجارتهم الحقيقية إنما هي مع الله دعوةً وتعليمًا ، والسلام .

٢٢٣ / عزو العلم إلى أهله:

- إذا أفادك إنسانٌ بفائدة * * من العلوم فأدمن شكره أبداً
- من تمام الأخلاق ، وبركة العلوم عزوها إلى أصحابها ، وإسنادها إلى مبتدئها ، ففي ذلك عرفانٌ وتوقير ، وأصالَةٌ وأدب ، وشكرٌ واحترام ... وحاذر النكران أو التجاهل والتغافل ، والقبح نسبتها لهماك وجدك وفضلك ، فهذه إحدى الكُبر ..
 - وهذه من آداب الطالب المهمة: ينسبُ العلم لأهله ، ويشكرهم على الإفادة... وقل: فلانٌ جزاه الله صالحاً .. أفادنيها وألقِ الكبر والحسد.. فلا تحسدِ الناس على خير أعطاهم الله، واستحضر نعمة الله عليه ، وتوفيقه لك تجاه هذه التقوى ، وذلك الأدب... قال الإمام مالكٌ رحمه الله:

«من بركة الحديث إفادة بعضهم بعضاً». واستيقن أن

للصدق والأدب حسن عاقبة، وللكذب والقبح سوء عاقبة،

والله المستعان.

• ولماذا يمتنع بعض طلاب العلم من ذلك، وهو ليس لهم..

قد يكون التنافس، أو سوء نيته من البداية، أو دفع القصور،

وعدم اظهار فضل الآخرين، لا سيما الأقران...! ومهما

أبدوا من مسوغات، فهي تنتفي مع العلم وأدبه وخلقه

وسماحته، وعائدة بركته، والسلام.

٢٤ / احتمال المصاعب :

اطلب ولا تضجر من مطلبٍ ** فآفة الطالب أن يضجرا

- من أساسيات الطلب الصبر على المصاعب ، واحتمال المشاق، وترك الضجر والضيقة ، والعيش بإصرار وتفاؤل ، لا سيما وأن العلم في بدايته لا يكاد ينقاد ، والمُحِبَطون حولك ، والمُحَطَّمون يغشون مجالسك ..! والتسلح بالصبر صار ضروريًا لإكمال المسيرة ، فقد تلاقي حفظًا منهكًا ، أو فهمًا مضيئًا ، أو مجلدات ثقال...! ومع ذلك قاومها بالصبر والدعاء، والتدرج والاستقواء .

- ومما يساعد على تجاوز ذلك، اعتقاد أن لذات الحياة لا تُنال إلا بهذه الطريقة ، حتى قضايا الرزق تجد أهلها في مناكبها

سائرین وكادحين ، لعلمهم أنّ الرزقَ والمالَ الكثيرَ لا
يحصلُ بالكسل والنوم الطويل .. وهكذا العلمُ جدُّ وعملُ ،
وصبرٌ ومواصلة ...

• ومع الإصرار تتذللُ الأمور ، وتنهّدُ المتاعبُ ، وتُزالُ
المشقات ، كما قال بعدها: أما ترى الجبلَ بطول
المدى ... على صليب الصخرِ قد أثرا...! وينقل عن
القفال - أحد علماء الشافعية - أنه سافر لطلب العلم ،
وعمره أربعون سنة، فلما مشى في الطريق، حدثته نفسه
وثبطته والشيطان يوسوس - فرجع من الطريق، ولما رجع
مرّ برجل يعمل على سانية، والساقية وكان الرجل يُخرج

الماء من البئر، وقد أثر الرشا والحبل في الصخر، فقال القفال

بعدهما اعتبر بتأثير الحبل في الصخر مع المداومة :

اطلب ولا تضجر من مطلب ** فآفة الطالب أن يضجرا

أما ترى الحبل بطول المدى ** على صليب الصخر قد أثرا

فعاد إلى العلم وبرّز فيه ونبغ . والله الموفق .

٢٥ / العزيمة الصلبة:

لأَسْتَسْهَلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ الْمُنَى ** * فما انْقَادَتِ الْأَمَالَ إِلَّا لِصَابِرٍ

• لا بدَّ للطالبِ من عزيمةٍ ملتهبة ، تحملُهُ على الجد والإقدام ،

واستسهالِ الصَّعبِ، واستظرافِ العسر ، واستلطافِ

المكروه، بحيث يخوضُ غمارَ الحياةِ مكافحاً مثابراً ، لا

يخاف ولا يبالي، ولا يملُّ أو يداري ..! حتى يبلغَ مناه،

ويحقق رجاءه ، ويصيب حلواه...

• والحكمةُ لأنَّ الأمال لا تبلغُ إلا لصابر ، ولا تهونُ إلا

لمناضل، ولا تدنوُ إلا لمتجاسر... يلينُّ الحديدَ ، ويطيَّبُ

العسير، ويهون البعيد... ولذلك نحن مطالبون بتغيير فكرنا

الداخلي ، وارتداء التفاؤل والعزم، بحيث يزول منه التردد

والياس ، والإرجاف ، وتكون عقيدته المبدئية ، الانطلاق
وعدم التشقف ...

• ولو كتب على جبينه ، أو لوحة طريقه : لأستسهلنَّ الصعبَ أو

أدركُ المنى ... لانقادت له كل الأمانى ، ولجاءته المعالي

ذليلات...! لأنه ارتدى لها ترياقتها ، فانفكت عُقدتها، وهي

العزيمة الداخلية الصلبة ، وهذا يشبهه قول أحمد شوقي :

وَمَا نَيْلُ الْمَطَالِبِ بِالتَّمَنِّي * * * وَلَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلَابَا

وَمَا اسْتَعَصَى عَلَى قَوْمٍ مَنَالٌ * * * إِذَا الإِقْدَامُ كَانَ لَهُمْ رِكَابَا

والسلام...،،

٢٦ / الممنوعون من العلم:

قالت مسائلُ سُحنونٍ لقارئها * * لن تدركَ العلمَ حتى تلعقَ الصَّبْرَ

- ليس كلُّ محبٍّ للعلمِ يناله، بل لا بد له مع الحب والاشتياق صبرٌ يلعقُ معه التعب والصبرِ، وهو نباتٌ طعمه مرٌّ، وتركُ بعض العادات التي تُلم ببعض البشر ومنها كما ذكر هنا: لا يُدركُ العلمَ بطَّالٌ ولا كسِلٌ •• ولا ملولٌ ولا من يَألفُ البشرًا..

- **فأولهم:** البطَّال: الذي لا يُقيم وقتًا، ولا يحفظُ خلقًا، وطبعته، السفه والطيش، وضياع الأوقات والإرادات .

- **وثانيهم:** الكسِلُ والكسول: المختال في فتوره ونومه وضياعه، وملالته من كل شيء، ولم يستطع نفض غبار هذا

الكسل، والاستعداد النفسي على تبديله، والتسلح بدعاء

الاستعاذة منه (اللهم إني أعوذ بك من الكسل).

● **وثالثهم:** المَلُول، الذي يتضايق من الدرس وطوله، والكتب

وشكلها والمسائل وفروعها، ولا يكاد يصبرُ على فائدة، أو

يرتقب نتيجة...! ويأمل في تلطيف الحياة وإحالتها مُتَعَاً

ولعباً...

● **ورابعهم:** ألوف البشر، أحاديث ومؤانسات، وتبديد في

الجلسات، والعيشُ على الأقاويل والترهات..! باستثناء

المجالس الجادة، والملتقيات النافعة، فهو يكاد يقاطعها،

ولا يحاول حمل نفسه على المعالجة والجد، **والله**

المستعان.

٢٧ / السفر للعلم:

تَغَرَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَى * * * وسافر ففي الأسفارِ خمسُ فوائِدِ

- أحياناً يكونُ العلمُ محبوباً لك في الأسفارِ والترحال، وهذا وإن استغرب في زماننا، إلا أنه أصل أصيلٌ في حياةِ الأسلاف قبلنا، واعتبروا الرحلة سنةً عمن سلف، ومن لم يرحل لا يؤنسُ منه رُشداً... ولذلك لا تردد إذا عزَّ العلم في ديارك، وقلَّ في منطقتك، وابتليت بمعشر جاهلين .. فاعقد ركابك، وانطلق في أرض الله الواسعة... يقول معددا فوائده:

تَفْرُجُ هَمَّ، وَاكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ * * * وَعِلْمٌ، وَآدَابٌ، وَصُحْبَةُ مَا جِدِ

- فتجتني فوائدَ مختلفة، من أهمها: بلوغُ العلم، وإحراز درجاته، وبلوغ فضائله، وتجمع علماء مختلفين، وتتسع المدارك، وتنضج نضوجاً فكرياً، لا يتأتى في بلادك، وتصيب

ارزاقاً جديدة، وتكتسب معارف مهجورة، وسلوكيات
فاخرة، وتجارب نادرة ..

- والعالمُ الرحالُ يختلفُ عن القعيد المكتفي بإنجاز بلده،
إذ يحصلُ الأول على نفائس من العلم، ونوادير من الفهم،
وأساليب في الإدراك، وعجائب في الثقافات، وقد سئل
الإمامُ أحمدُ رحمه الله: **عمن طلب العلم، ترى له أن يلزم
رجلا عنده علم فيكتب عنه، أو ترى أن يرحل إلى
المواضع التي فيها العلم فيسمع منهم؟** **قال: " يرحل
يكتب عن الكوفيين والبصريين وأهل المدينة ومكة، يُشامُ
الناسَ يسمع منهم " ... وكتب السير والتراجم أكبرُ برهانٍ
على ذلك، وهي طافحةٌ بمثل ذلك، وتؤكدُه وتصدقُه، واللهُ
الموفق .**

١٢٨ خير جليس:

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرَجٌ سَابِحٌ * وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابٌ

- أعظمُّ المُتَع ، وألذُّ السعادات ، وأطيبُ المجالس في معانقة كتاب ، وانتهال فوائده، وارتشاف موائده ، كما قال هنا: أعزُّ مكان في الدنيا سرجٌ سابحٍ ... وخير جليسٍ في الزمان كتابٌ... سرجُ السابح المراد به الفرس السريع الجري ، ينضاف له الكتاب المنير المستبين، وبهما نهضة الأمم ، وخروجها من مستنقعات التبعية والهوان ..

- وَفُضِّلَ الكِتَابُ عَلَى مَجَالِسِ النَّاسِ وَمَتَنَزَهَاتِهِمْ ، لِأَنَّهُ عَاطِرٌ الْفَائِدَةِ ، عَدِيمٌ الْأَذِيَّةِ ، سَلِيمٌ الطَّوِيَّةِ ، مَنَسَابٌ الرُّضِيَّةِ ، لَا

يخالطه ريبٌ أو زيفٌ في العلاقة ، يفيدك ولا يؤذيك ،

ويمنحك ولا يمنعك ، ويُسعدك ولا يزعجك ...

• خلافاً للبشر وأذيتهم وتربصاتهم ، ولذا يقول القاضي أبو

الحسن الجرجاني رحمه الله :

ما تطعمتُ لذة العيشِ حتى * * صرتُ للبيت والكتابِ جليسا

ليس شيءٌ عندي أعزُّ من العلمِ * * فما أبتغي سواه أنيسا

إنما الذلُّ في مخالطةِ الناسِ * * فدعهم وعش عزيزاً رئيساً

فتزعم وتنعم بملازمة الكتب والأنس بمحتوياتها ، والله الموفق .

٢٩ / المجالسُ الأنيقة:

مجالسُهُم مثلُ الرياضِ أنيقةٌ * * * لقد طابَ منها الريحُ واللونُ والطعمُ

• نعم هكذا هي مجالسُ العلماء ، نورٌ ورياض ، وتمعُّةٌ

وجمالٌ ، حيث غشيتها ذكرُ الله ، وسنةُ رسوله ، وأطايِبُ

الكلم ، وروائعُ الحديث ، فازدانت وطابت ، وكان مرتادوها

من أسعدِ الناسِ روحاً ، وأصفاهم قلباً ، وأطيبهم بالاً . وهي

التجارةُ الرابحةُ ، والميراثُ الحقيقي ، الذي يطلبُ ويلتمسُ .

• وهكذا وعابها السلفُ وحرصوا عليها فيروى عن أبي هريرة

رضي الله عنه : " أنه مرَّ بسوق المدينة فوقف عليها فقال : يا

أهلَ السوق ما أعجزَكم . ! قالوا : وما ذاك يا أبا هريرة . ! ؟ !

قال : ذاك ميراثُ رسولِ الله صلى الله عليه و سلم يقسمُ

وأنتم ها هنا ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه ..؟! قالوا :
 وأين هو قال : في المسجد فخرجوا سراعا ، ووقف أبو هريرة
 لهم حتى رجعوا فقال لهم : ما لكم فقالوا يا أبا هريرة : قد
 أتينا المسجد فدخلنا فيه ، فلم نر فيه شيئا يقسم؟! فقال لهم
 أبو هريرة : وما رأيتم في المسجد أحدا . قالوا : بلى رأينا
 قوما يصلون وقوما يقرؤون القرآن ، وقوما يتذاكرون الحلال
 والحرام . فقال لهم أبو هريرة : ويحكم فذاك ميراثُ محمد
 صلى الله عليه وسلم " . رواه الطبراني في الأوسط بإسناد
 حسن .

• ولهذه المجالس ذكرياتٌ عند أهلها لا تكاد تنسى ، ومن ذلك

قول التقي السبكي رحمه الله :

وفي دار الحديث لطيفٌ معنيٌّ ** على بسطٍ لها أصبو وآوي

لعلي أن أمسَّ بحرَّ وجهي ** مكاناً مسَّه قدمُ النَّوَّاي

وقال القاضي أمينُ الدين بن الألقي رحمه الله :

وفي دار الحديث لطيفٌ معنيٌّ ** وفيها منتهى أربي وسولي

أحاديثُ النبيِّ عليٍّ تُروى ** وتقبيلي لآثارِ الرَّسولِ

● فهنيئاً لمن وفقَ لها سيجتني منها العلم والثبات والنور والثواب

، والفهم والصواب ، والراحة والشفاء..

والله الموفق ..،،

٣٠ كمالُ العقل:

إذا ما علا المرءُ رَامَ العُلَا * * * ويقنَعُ بالدونِ مَنْ كان دونا

• إذا كُمِلَ العقلُ ، علَّتِ الهمةُ ، وعزتِ النفسُ ، وطابَ

المسلكُ ، وأنجزتِ المساعي ، قال أبو الفرج ابن الجوزي

رحمه الله : " من علامة كمال العقل علو الهمة ، والراضى

بالدون دنىء ... ولم أر في عيوب الناس عيبًا ... كنقص

القادرين على التمام ...! ". ولذلك من تعب على عقله أفلحَ

ونجا ، ومن ضيعه ضاع وخسر ، وكان منتهاه التوافه

والسقطات ..

- وما أحوَجنا جميعاً إلى كمال العقل ، الذي من علاماته علوُّ
الهمةِ ، وهي سلاحنا في معترك الحياة، وسفيتنا في خضم
الأحداث ، وفي اقتناص الغراس والقطف...
• ومن ربِّي نفسَه على هذا المنوال، نال المراد، وطمح
للأمجاد، وضاق من الدنيا والسَّفساف ، فهتمك مصدرُ
رزقك، وبوابةُ سعادتك، وغايةُ مناك. وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه أنه قال: **(لا تصغرُنَّ همتكم؛ فإني لم أرَ أقعدَ
عن المكرمات من صِغَرِ الهمم)** . فحاذر تبديدها، أو
تصغيرها هملاً بلا تعهد أو رعاية . لأنها كالنور المشرق في
القلبِ ، وقد ينطفئ مع الهجران والتبديد، أو التغافل
والنسيان ، والله المستعان .

٣١ / صيانة العلم:

ولو أنَّ أهلَ العِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ * * * ولو عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعُظِّمًا

- صيانة العلم تكون بحفظه من صور الهوان، ومواضع التجارة، ومزالق الاستضعاف، وأن لا يجعل سلماً إلى الدنيا والدنيا، وبيع المبادئ والنوايا، قال تعالى: **(ودّوا لو تدهن فيدهنون) سورة القلم .** وصونه يكون بالقيام بحقه، وتبليغه في الناس، والعمل بمقتضاه، وتأدية رسالته، وبثه في العالمين، وإحياء ما اندرس منه ...

- ولكن للأسف بعضهم قد يضلُّ به الطريقَ عمداً أو استسهالاً، ويزعمُ الأكلَ كبقية الناس.. ولهذا قال في هذه الفئة المرتزقة بالعلم: **ولكن أهانوه فهان ودنسوا... مُحِيَّاهُ**

بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمَا..! فقد فسد معدنه، وأجهم شكله،
 وتغير لونه، وتكدرت رائحته، ولم يبق فيه سوى قيام الحجة
 على صاحبه...!! وفيهم قال تعالى: (وَرِثُوا الْكِتَابَ
 يَا خُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ
 عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ..) سورة الأعراف. قال مجاهد رحمه
 الله: " لا يشرف لهم شيء من الدنيا إلا أخذوه، حلالا كان أو
 حراما، ويتمنون المغفرة، ويقولون: (سيغفر لنا) وإن
 يجدوا عرضا مثله يأخذوه".

- ونتيجة ذلك: الخسار العظيم، وفقدان البركة والثواب،
 وذهاب الهيبة والراحة، والعيش خانع الرأس، عديم القيمة،
 ذاهب الجاه والمكانة، عنيف الخلق والمنظر..! وقال كعب

رحمه الله: (يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ، ولا يزهدون ويخوفون الناس ولا يخافون ، وينهون عن غشيان الولاية ويأتونهم ، ويؤثرون الدنيا على الآخرة ، يأكلون بألسنتهم يقربون الأغنياء دون الفقراء ، يتغايرون على العلم ، كما تتغايير النساء على الرجال ، يغضب أحدهم على جلسه إذا جالس غيره ، أولئك الجبارون أعداء الرحمن) والسلام .

٣٢ / استلذاذ المشاق:

وَمَنْ تَكُنِ الْعَلِيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ * فِكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبٌ

- إذا صحّت النيةُ ، ووفق المرءُ للعلم ، تلذذ به ويجمعه ، وهانت عليه مشاقه ، بل صارت المشقات لذاتٍ ، والشدائدُ طبيبات ، يستمتعُ بها الطالب ولو أتعبت ، ويستحبُّها ولو أنهكت .. لأنه يستطعمُ فيها أنوار السعادة ، وأفانين الجمال ، فتجده يوغلُ في المعرفة ، ويضاعفُ الهمة ، ويشتد في الطلب والانتفاع ..

- والعلمُ من محاسنِ العلياء ، وله تُبذلُ الهممُ ، وتشتدُّ العزمات ، بل هو أسمى العلياءات ، وأطيب المنازل والرفعات ، ولذلك ضرب الأسلاف أروع الأمثلة في الصبر عليه واحتمال شدائده ، ولولا ما فيه من محاب وجماليات ما

تعبوا فيه، قال سعيد بن المسيب رحمه الله: "كنت أرحل الأيَّام والليالي في طلب الحديث الواحد".

• وقال النضر بن شميل رحمه الله: "لا يجد الرجل لذّة العلم

حتى يجوع، وينسى جوعه". وكان الإمام البخاري الذي

كان يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه، لما يقارب عشرين

مرّة، يوقد فيها السراج؛ ليكتب فائدة تمرّ بخاطره". وقال

يحيى بن سعيد القطان حمه الله: حينما ذكروا أمامه طلب

الحديث: "كنت أخرج من البيت قبل الغداة، فلا أرجع إلى

العمّة". ويقول شعبة بن الحجاج - رحمه الله -: "إذا رأيت

المجبرة في بيت إنسان فارحمه، وإن كان في كُملك شيء

فأطعمه". وما ذلك الا بسبب فقرهم وشدة ما يلاقون في

الطلب والبحث العلمي. والسلام.

٣٣ / فضلُ الشيوخ:

إِذَا رُمْتَ الْعُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخٍ * ضَلَلْتَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ

- لا يُمكنُ الطلُبُ غالبًا بلا شيوخ، ولا فقهُ الكتبِ بلا أستاذ، ولا حذقُ الأسفارِ بلا معلمين، فالمعلم مرآة، والشيخ قمرٌ يضيء الطريق، ويفكُّ العسير، ويهونُ السحيق. فالشيوخ كالمفاتيح للكتب، والهدايات للعلوم، والنوافذ للمستغلاقات .. كما قال هنا: ضللت عن الطريق المستقيم...

- فيفوتُ الطريق، وتعمى الهداية، ويلتبسُ الصواب، ويزيغُ الفهم، إلا نادرا، ولذلك فضلُ الشيوخ على التلاميذ عظيم، وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام دليل على وعي الشيخ ونباهته واحتياج المتعلم إليه.

- وكم من مخلط بلا شيخ ، ومن جويهل تفقه على الكتب ، ولم يشم عقول المشايخ ..! ولذلك قال فيها أيضا: وتلتبس العلوم عليك حتى .. تصير أضل من ثوما الحكيم ...! وأولها وهي لأبي حيان النحوي رحمه الله وهي رائقة مفيدة :

يَظُنُّ الغُمْرُ أَنَّ الكُتُبَ تَهْدِي * * أَخَا فَهْمٍ لِإِذْرَاكِ العُلُومِ

وَمَا يَدْرِي الجَهُولُ بِأَنَّ فِيهَا * * غَوَامِضَ حَيَّرَتْ عَقْلَ الفَهِيمِ

- وقد قيل : "من دخل في العلم وحده؛ خرج وحده". كان الأوزاعي رحمه الله يقول: (كان هذا العلم كريماً يتلاقاه الرجال بينهم، فلما دخل في الكتب، دخل فيه غير أهله). وما أكثر غير الأهل في هذه الأزمنة ، والله المستعان .

٣٤ / أنسُ الدفاتر والسراج:

نديمي هرتي وأنيسُ نَفْسي ** دفاتر لي ومعشوقي السراجُ

- إذا تحوّل العلمُ والاطلاعُ إلى أنسٍ وملذّة، سبَحَ فيه صاحبهُ ،
وغاص بلا هوادة، وحصّل بلا شبع، واستمتع بلا انتهاء،
وذلك ما صورهُ العلامةُ ابن فارس النحوي رحمه الله بقوله في
وصف ملذاته:

نديمي هرتي وأنيسُ نفسي ** دفاترُ لي ومعشوقي السراجُ

- فهي تؤنسه لما فيها من جديدِ العلم، ومفيدِ الفهم ، وجميل
الرواية، وجيد المعرفة، وطيب النعمة، وحسن النهمة ، فلا
منها شبعٌ، ولا من دفعها امتلاءً. ! فلا يزال منها طالبًا
مستكثرا، ودائبًا جماعًا..!

• فهي مادةُ سعادته ، لأن الأُنسَ هنا تعبير عن الحياة الطيبة،

ولو بان فقرها، واشتد تعبها.. ولهذا قال في أولها : وقالوا

كيف حالك قلت خيرٌ ** تقضى حاجةً وتفوتُ حاجُ

إذا ازدحمت همومُ الصدر قلنا ** عسى يومًا يكون لها انفراجُ

• ومن الانفراج الجميل متعته بالهرة والدفاتر، والسراج المعد

للتأليف والقراءة والسلام...،.

١٣٥ / إضاعة الكتب:

وفقدُ الكتابُ كفقد الصَّوابِ ** فيا هَوَلٌ من قد أضاع الكُتُبَ

- الكُتُبُ مفاتيحٌ للعلمِ عموماً ، والحاجةُ إليها ماسةٌ ، وقد كانت في زمانٍ عزيزةٌ تُشترى بالأموالِ والمتاعِ ، وتيسرت في زماننا بنعمة **"الطباعة والتقنية"** ، فله الحمدُ والمنة...!
ومع تشجيعنا للحفاظِ والاهتمامِ بالشيوخِ ، إلا أنَّ حيازةَ الكُتُبِ بابٌ للعلمِ والمراجعةِ والتحفظِ...! ومن المؤسفِ تضييعُ بعضِ الطلابِ لها ، أو بيعها لغير حاجةٍ ، أو التعاملِ معها كالمهماتِ ، والله المستعان .
- ولذلك مُضيعُها فاقدُ للصوابِ ، مبددٌ للنعمةِ ، جالبٌ للحسرةِ ، مكثِرٌ للتخليطِ...! ويُضيعها بإهمالها ، أو بيعها ، أو

رميها في الطرقات كما في بعض الجامعات أيام
الامتحانات... وهو منظرٌ قاتل، يبعث على الأسى والحُرقة،
وكيف لو رآه السلفُ، أو فقراء أفريقيا الذين ينشدوننا الكتب
إلى هذه الساعة.. رحماك يا رب...

- والواجبُ على الطالب حينَ حيازة الكتب: حبُّها وإعلاؤها،
والمحافظةُ عليها كالنقود، وصيانتُها من التلف والغبار،
ورفعُها كالعطرِ والمال، وتعاهدها من حينٍ إلى آخر،
والعكوفُ عليها اطلاعًا وتعليقًا وارتفاعًا، فلا يضيء
الكتابُ حتى يظلم كما قال الحكماءُ رحمهم الله، والسلام..

٣٦ / الوجدُ على الكتب:

أنستُ بها عشرينَ حولًا وبعثتها * * * لقد طال وَجدي بعدها وحنيني

• عشقُ العلماء وهيامُهُم بالكتب أمرٌ يفوقُ الوصف ، ويتجاوزُ

الخيال، فهي أنسُهُم وغايتُهُم، وتجري منهم مجرى الدم ..

ومن كان كذلك لا يبيعها ولا يُضيعها، ولا يؤثر بها أحداً، إلا

ساعاتِ الاضطرار ... ومن القصص الأسيفة هنا قصة أبي

الحسن الفالي رحمه الله، ونُسب القالي غلطاً، كما نبه

الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله على ذلك "صفحاته"،

فقد كان لديه نسخة فريدة من كتاب "الجمهرة لابن دريد،

فاضطرت الحاجةُ إلى بيعها ففعل، واشتراها منه الشريف

المرضى بستين دينارًا ، فلما عاينَ هذه الأبيات عليها رُقَّ
لحاله فأعادها له ، ومنحه الدنانير " ..

• وفيها بينَ لوعته وفقده بها ، وذكر أنّ سبب البيع الحاجة
والعيال والافتقار :

وما كان ظني أنني سأبيعها ** ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لضعفٍ وافتقارٍ وصبيّةٍ ** صغارٍ عليهم تستهلُّ شئوني
وقد تخرجُ الحاجاتُ يا أم مالكٍ ** كرائمٍ من رب بهنِ ضنينِ

• وكم من كرائمٍ من الكتب والمتاع والأثاث تباع بسبب
الحاجة ، فالحاجةُ قتالةٌ ، والفقر كافر ، والدنيا غلابةٌ ، والله
المستعان .

٣٧ / التفننُ العلمي :

أَحْرِضْ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ تَبْلُغِ الْأَمَلَا * * * وَلَا تُوَصِّلْ لِعِلْمٍ وَاحِدٍ كَسَلَا

- من أخطأ بعض الطلبة: الاكتفاء بعلم واحد ، ومسلك واحد، ومنهج واحد ، ويغفل عن استيعاب العلم وفروعه وأساتذته، أو الاطلاع على علوم أخرى لها صلة وصلات بعلمه الأم ، وتخصصه الأصيل... ولذلك قال: **احرص على**

كل علم تبليغ الأملا...

- وفائدة ذلك الوعي العلمي، وسدُّ ثغرات ذلك العلم ، لاتصال العلوم الشرعية بعضها ببعض، وحاجتك في فهم بعض القضايا ، لا سيما والاتصال وثيق، والتجاذب عميق، ولذلك يسوء منهجاً العكوفُ على فن واحد وهجر البقية، لا سيما وكلها مرجعها إلى الكتاب والسنة .. ويأتيك جويهل

يقول : تخصصي فقه، ولا يدري الأصول.. أو من يقول:

أفهم التفسير ، وهو يجهل آيات الأحكام..

• وتعلم من النحل في تنوعها الزهري، فحلوا تنوعها جعل

عسلها ونتاجها مختلف المذاق، غالي القيمة، وكذلك العالم

المتفنن، كلما تنوع جاء علمه جميلاً في غاية الحسن

والنفاسة ... يقول :

النَّحْلُ لَمَّا رَعَتْ مِنْ كُلِّ فَاكِهِةٍ * * * أَبَدَتْ لَنَا الْجَوْهَرَيْنِ : الشَّمْعَ وَالْعَسْلَا

الشَّمْعُ بِاللَّيْلِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ * * * وَالشَّهْدُ يُبْرِي بِإِذْنِ الْبَارِي الْعِلَلَا

• فكن نحلة ذواقه، في حسن وتدرج ، وحكمة وانتقاء ،

وتهذيب وترتيب، وليس جمعاً سريعاً ، أو التهاماً وسيعاً

واللهُ الموفق .

٣٨ / النية الصالحة :

و(النِّيَّة) اجْعَلْ لِرُؤْحِهِ اللّهِ خَالِصَةً * * * اِنَّ الْبِنَاءَ بِدُونِ الْاَصْلِ لَمْ يَقُمْ

• النية شرط العلم وسلامته وحصول التوفيق فيه ، ولذلك لا بد

من إصلاحها وتعاهدها بالمعالجة ، لئلا يصيبها الهوى

والكدر ، قال تعالى : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا

نُوفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) سورة هود .

وصحّ قوله صلى الله عليه وسلم : (إنما الأعمال بالنيات) .

ومن ساءت نيته ساء عمله ، ومُحقت بركته ، وفنيت غراسه ،

وسُلب معرفته ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

• والبناء العلمي لا يستقيم بلا أعمدة النية ، ومعرض للسقوط

في أية لحظة ، ولذلك وجب استصلاحها ، ومجاهدتها على

الدوام .. قال سفيان الثوري رحمه الله: (مَا عَالَجْتُ شَيْئًا

أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نَيْتِي ، إِنَّهَا تَقْلَبُ عَلَيَّ) . وعلاجها يكون

بالدعاء، والاستكانة في الضراعة ، ومجاهدة النفس ، ورفض

عروض الدنيا ، والتفكر فيما عند الله تعالى . وهي من أشد

الأعمال على المرء، فيا خيبة من جعل علمه للدنيا، أو

تكسب به ، ولذلك قال : وَمَنْ يَكُنْ لِيَقُولَ النَّاسُ يَطْلُبُهُ ...

أَخْسِرُ بِصَفْقَتِهِ فِي مَوْقِفِ النَّدَمِ

● وفساد النية أخطر ما واجه العلماء والصالحين ، قال بعض

السلف : " أعز شيء في الدنيا الإخلاص ، وكم أجتهد في

إسقاط الرياء عن قلبي ، وكأنه ينبت فيه على لون آخر " .

وَمَنْ يَكُنْ لِيَقُولَ النَّاسُ * * * يَطْلُبُهُ أَحْسِرُ بِصَفْقَتِهِ فِي مَوْقِفِ النَّدَمِ

وَمَنْ بِهِ يَبْتَغِي الدُّنْيَا فَلَيْسَ * * * بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حَظٍّ وَلَا قَسَمِ

كَفَى بِهِ (مَنْ كَانَ) فِي شُورَى وَهُودٍ وَفِي * * * أَلْ إِسْرَاءِ مَوْعِظَةً لِلْحَاذِقِ الْفَهْمِ

رزقنا الله وإياكم وعي صلاح النية ، وجنبنا مكدراتها، إنه جواد

كريم .

٣٩ / لواء العلم:

لئن رفعَ الغنيُّ لواءَ مالٍ ** * لأنتَ لواءَ علمك قد رفعتا

- أجلُّ رايةٍ تُرفعُ في الوجود هي رايةُ العلم ، فهو المفخرةُ والمكرمة والمعجزة، فلقد بقيت مرجعَ الناس، ومحلَّ سؤالهم، وموضعَ حاجاتهم ، يرتفع آخرون بالدنيا وترتفع أنتَ بالعلم وحبّه وتبليغهِ.. (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) سورة آل عمران .

- فاعرف قدرَ حق هذا اللواء من الأخلاق فيه والتواضع في حملهِ ، والدعوة اليه، والسعي به في الآفاق ، ونفع المحتاجين منه.. (وجعلني مباركاً أينما كنت) سورة مريم . وتأكد أن تشهي الأغنياء لمنازل العلماء أشدّ من تشهي العلماء لهم،

وهذا مما يعمق تمسكهم بمنهجهم ، ولو افتقروا أو مالت
عليهم الحياةُ ...

- وكلُّ مظاهر الأغنياء المتباهية، لا تعادل لحظة علم منشورة،
أو متعة لذته الآسرة ، أو وعيه العقلي الفسيح... ولذلك قال
مسلياً لهم مؤكداً شرفهم :

لئن جلس الغنيُّ على الحشايا ** لأنت على الكواكبِ قد جلستا
وإن ركبَ الجياد مسوماتٍ ** لأنت مناهجَ التقوى ركبتا
ومهما افتضَّ أبكارَ الغواني ** فكم بكرٍ من الحكَم افتضضتا
وليس يضركُ الإقارُ شيئاً ** إذا ما أنت ربك قد عرفتا

- وفي العلم الصادق معرفةٌ ولذة ، ودَّ الأغنياءُ لو اشتروها
بألوان الذهب والفضة ، ولكن هيهات هيهات، وذلك فضلُ

اللهِ يُؤتيه من يشاء، واللهُ واسعٌ عليم .

٤٠ / التعلق بالآراء:

ودع عنك آراء الرجال وقولهم * * * فقول رسول الله أذكى وأشرح

- مهما كان تعلقك وإجلالك لأشياخك، فلا يحملك ذلك على هجر النصوص أو إهمالها أو تجاوزها، فإن ذلك اعوجاج ولجاج، وتخبُّطٌ ووهاء وخواء.. فكلنا للنصوص ومن النصوص، ولا قيمة للعالم بلا برهان ولا نص، وإلا صار لصاً قميئاً، وشريداً تعيساً..

- لأنَّ سعادة العلم في احتواء النصوص، والاستقواء

بالبراهين، والاستظلال بظلالها ومحاسنها وهدايتها، كما

قال هنا: فقول رسول الله أذكى وأشرح.. يزكو بها العلم

ويصح، وينشرح بها الصدر ويطيب. وقبلها كان قال:

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى ** * وَلَا تَكُ بَدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

وَلَذُ بَكْتَابِ اللَّهِ وَالسَّنَنِ الَّتِي ** * أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبِحُ

• فخيرٌ من آراء الرجال وشيوخ المذهب ، هي النصوص

والسنن، والأحاديث والدلائل ، ففيها العلم والسعة، والنور

والمنعة، والوعي والاعتزاز . قال ابن عباس رضي الله عنه :

(عليك بالاستقامة، واتباع الأثر، وإيّاك والتبدع) . وقال

محمد بن سيرين رحمه الله : « كانوا يرون أنه على الطريق ،

ما كان على الأثر » . وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله : « عليك

بأثار من سلف وإن رفضك الناس ، وإيّاك وآراء الرجال وإن

زخرفوها لك بالقول؛ فإن الأمر ينجلي - حين ينجلي -

وأنت على طريق مستقيم » . ثبتنا الله جميعا على الحق

والسنة ، والله الموفق .

٤١/ مداولة الأفكار:

لَوْلَا مُدَاوَلَةُ الْأَفْكَارِ مَا ظَهَرَتْ * * * خَزَائِنُ الْأَرْضِ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْعَلَمِ

- ولا تكونُ مداولةُ الأفكارِ الا عبرَ التعليمِ وصنوفه، والمدارسِ وانتشارها ، والجامعاتِ وتوجهاتها، والحلقِ والمجالسِ البحثيةِ والحوارية...! وكلها تعبيرٌ عن الأنفاسِ العلميةِ المنتشرةِ في الآفاقِ .. ومن خلالها تبزغ العقولُ، وتصحُّ البصائرُ ، وتسلم الخرافةُ ، ويتضاعف الإنتاجُ المادي والفكري والحضاري..
- وحينما تُداولُ الأفكارُ في مجالسِ العلمِ ، تُصقلُ العقولُ، ويُنهجُ الدليلُ ، ويبرزُ الأذكىءُ ، وحينما تُفتحُ ساحاتُ البحثِ العلميِ توفقُ الأممُ لاكتشافِ الخزائنِ ، وتغتني،

وتأمن تسلط الغازي والمحتل، وتكون قويةً في شتى المجالات ، وذلك من الإعداد الشرعي المحمود، والحضاري المطلوب .. (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) سورة الأنفال .

● ومحاولةً تهوين التعليم وإضعافه ، والاكتفاء بالنهج الأمي البسيط، الذي يدفع الأمية الكتابية، ولا يرتقي إلى الأمية الفكرية، فلن يقدم شيئاً ، وسيجعل أهله مكانهم قعدةً متعبين ، مستضعفين ومستوردين ، .. وخليقُ بأمةٍ أول قرآنها (اقرأ) أن تفتح مجالات التعليم بلا حدود ، وتقوي أُسسَه، وتنشر فروعه ، وتشجعه بلا تردد ، حتى تبلغ المنائر ، وتصيب المعالي .. والله المستعان ...

١٤٢ / اليتيم الحقيقي :

لَيْسَ الْيَتِيمُ الَّذِي قَدَّمَتْ وَالِدُهُ * * * إِنَّ الْيَتِيمَ يَتِيمُ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ

- نعم إنَّ يَتِمَّنَا الْحَقِيقِي فِي ذَهَابِ الْعِلْمِ، وَانْقِشَاعِ الْمَعْرِفَةِ مِنْ أَذْهَانِنَا، وَتَرْبِيَةِ النَّشْءِ عَلَى الْجَهْلِ، وَتَهْوِينِ الْعِلْمِ وَالْإِطْلَاعِ، وَوَلَيْسَ هُوَ فَقْدَانُ الْأَبْوِينِ أَوْ أَحَدَهُمَا، بَلْ فَقْدَانُ النُّورِ الْعِلْمِيِّ، وَالْإِبْتِهَاجِ الْمَعْرِفِيِّ ..
- وَالطِّفْلُ الْعَلِيمُ، وَالشَّابُّ الْمُثَقَّفُ، نُورَانِ فِي الْمَجْتَمَعِ بِمَا يَحْمِلَانِهِ مِنْ أَدَبٍ وَعِلْمٍ، وَنَبَاهَةِ وَزْكَاءٍ..! وَلِذَلِكَ إِذَا تَعَبْنَا عَلَى أَبْنَائِنَا تَرْبِيَةً وَتَعْلِيمًا، أَخْرَجْنَا مِنْهُمْ طَاقَاتٍ وَنَوَابِغَ . وَفِي التَّعْلِيمِ عِوَضٌ لِمَنْ فَقَدَ وَالِدَهُ، وَقَدْ تَبَوَّأَ مِنْهُمْ مَنَازِلَ عَالِيَةً، وَكَانَ فِي الْعِلْمِ وَالْمَعَارِفِ سُلُوَانٌ لَهُمْ عَلَى الْفَقْدِ وَالتَّعَبِ، بَلْ اخْتَفَى ذَلِكَ الْمَعْنَى الْمَحْزَنَ مِنْ حَيَاتِهِمْ ..

• وما تغني النعمُ الأخرى إذا ضيعنا الجانبَ العلمي في حياة الناشئة ، وصيرناهم تماثيلَ لا قيمة لها إلا في اللعب واللهو ، واستهلاك الحياة بدون معنى ولا رسالة .. (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ..) سورة المؤمنون .

• وفي تاريخ أمتنا أيتامٌ صاروا أعلما ، وانتفع بهم الداني والقاصي، وخلفوا إنتاجاً علمياً باهراً : كالإمام أحمد والشافعي والبُخاري والأوزاعي، وأبي يوسف القاضي وابن الجوزي وابن حجر وغيرهم رحمهم الله تعالى، وقدوة هؤلاء كلهم وقدوتنا رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام، عاش يتيماً ولكنه صنع المعجزات برسالته ودعوته ، والسلام.

٤٣ / القلب الواعي:

عَلِمِي مَعِي حَيْثُمَا يَمَّمْتُ يَنْفَعُنِي * * قَلْبِي وَعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِ

• المراد بالقلب الواعي أي الحافظ للعلوم، والمتجاوز

للكتب والقراطيس، لا يعول عليها، ولا يعتمد حملها على

الدوام، بل يذاكرها مدةً حتى يتقنها، ثم تصير عليه ثقله،

وهو يؤدي رسالته الدعوية، فيسير بعلمه الآفاق، وينطلق

كل الجهات، ويفتي ويفيد في كل الأماكن، كما قال

الشافعي رحمه الله: ... قَلْبِي وَعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِ ...

• وعليه لا تجدي الشهادات ولا الإجازات ولا الدروس،

والكتب مفتوحة دون تحضير وحفظ واستعداد (يوم القوم

أقرؤهم لكتاب الله).

- يلقي من أية جهة ، ويفيدُ في كل مكان، ويخطب في شتى الظروف ، ولا يتكلف المراجعة القرطاسية كثيراً... وهذا هو العالمُ حقاً ، والحافظُ صدقاً ، والمحدث لقباً... كما يصور تلك المتعة والنعمة : **إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِي... أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ...!** وقد خص الله بالحفظ هذه الأمة ، وجعله مزيةً لها . قال ابن الجوزي رحمه الله : **(فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَصَّ أُمَّتَنَا بِحِفْظِ الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِنَا يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ مِنَ الصُّحُفِ ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْحِفْظِ)**.

- فعلماءُ "القرطاسية والكتب" أو "الجوالات" في زماننا.. ليسوا بعلماء ، بل قراء ومفيدةين وباحثين..! والعالمُ بحقٍ من استودع القلبَ علمه، وحشاه بنصوصه ،

ونوره بمصابيحه، كما قال تعالى: (بل هو آياتٌ بيناتٌ في صدور الذين أتوا العلم) سورة العنكبوت . وقال الأصمعي رحمه الله: (كل علم لا يدخل معي الحمام فليس بعلم). قال سفيان بن عيينة رحمه الله: (أول العلم: الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر).

• ولما أحرق خصومُ أبي محمد ابن حزمٍ رحمه الله كتبه ، احتج عليهم بحفظها وقيامها في صدره، فقال في الأبيات الشهيرة :

فإن تُحرقوا القرطاسَ لا تحرقوا الذي * * * تضمنه القرطاسُ بل هو في صدري
يسيرٌ معي حيث استقلت ركائبي * * * وينزل أن أنزل ويدفن في قبري
دعوني من إحراق رِقٍ وكاغِدٍ * * * وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
وإلا فعودوا في المكاتب بدأةً * * * فكم دون ما تبغون لله من سترٍ

• فتح الله علينا وعليكم من فضله ورحمته ، والله الموفق .

١٤٤ / النفوسُ الكبار:

وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَاراً * * * تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

- إنما تتعبُ النفوسُ الكبارُ لعلاءِ هممِها ، وشدةِ عزائمِها ، ورقبيّ طموحِها ، وعدمِ رضاها بالقليلِ واليسيرِ والذنيء... ومن يرضى بقليلٍ وقد شرحَ اللهُ صدره بإسلامٍ عظيمٍ ، وقرآنٍ بهيجٍ يحضُ على العلمِ والمعالي ، والرقبي والاتساع ...

- ومن النفوسِ الكبارِ نفوسُ العلماء ، وهممُهم التي لا تشبع من العلمِ ودرسه ، ولا فقهه وكتبه ، ولا حدقه ومراجعتَه ، ففيه سرٌّ وسحرٌ ، ودرٌّ وتبرٌ ، ونورٌ وفجرٌ ، قال الزهري رحمه

الله ويروى عن غيره: (منهومان لا يشبعان طالب علم

وطالب مال).

• ولذا لما كبرت نفوس العلماء من السلف أنتجوا لنا عجائب في التصنيف والكتب والدروس ، والحكم والفهوم المنقولة ، وخلفوا تراثاً نادراً ، لا زلنا نباهي به الأمم ، وتعجز حضارات متنوعة عن الإتيان به ، ونقل معظمه بالأسانيد ، وهو خصيصة لهذه الأمة المرحومة ، كم قال القائل : وخصت الأمة بالأنساب... وبالأسانيد وبالإعراب...

• ومن الهمم العجيبة : أن أبا جعفر بن جرير رحمه الله ، صاحب التفسير والتاريخ ، قال لأصحابه: هل تشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا ؟ قالوا: كم قدره ؟! فذكر

نحو ثلاثين ألف ورقة. قالوا: هذا مما تفتنى الأعمار قبل
تمامه. فقال: إنا لله، ماتت الهمم. فأملاه في نحو ثلاثة آلاف
ورقة. ولما أراد أن يملي التفسير قال لهم كذلك، ثم أملاه
بنحو من التاريخ... وكتب السير خاصةً بمثل هذه النماذج
الذهبية، رحمهم الله.

١٤٥/ الفقيه المصدر:

وإذا فهمت الفقه عشت مصدراً ** في العالمين معظم المقدار

• يُسوّدُ الفقه أهله ويصدّرهم وهم لا يشعرون، والسببُ

احتياج الناس للفقهِ، ومعرفة الحلال والحرام، فهو أشرف

العلوم من هذه الوجهة.. قال الإمام الغزالي رحمه الله:

"وأشرف العلوم ما ازدوج فيه العقل والسمع، واصطحب

فيه الرأي والشرع، وعلم الفقه وأصوله من هذا القبيل...،

ولأجل شرف علم الفقه وسببه، وفرَّ اللهُ دواعي الخلق على

طلبه، وكان العلماء به أرفع العلماء مكاناً، وأجلهم شأنًا،

وأكثرهم أتباعاً وأعواناً".

- وقال الشيخ العلامة ابن باز رحمه الله: " فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْفَقْهِ الْإِسْلَامِيِّ وَأَدْلَةَ الْأَحْكَامِ، وَمَعْرِفَةَ فَقْهَاءِ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ فِي هَذَا الْبَابِ - مِنْ الْأُمُورِ الْمَهْمَةِ الَّتِي يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِلْمِ الْعِنَايَةَ بِهَا، وَإِيضًا حَهَا لِلنَّاسِ - لِأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ خَلَقَ الثَّقَلَيْنِ لِعِبَادَتِهِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَعْرِفَ هَذِهِ الْعِبَادَةَ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْفَقْهِ الْإِسْلَامِيِّ وَأَدْلَتِهِ، وَأَحْكَامِ الْإِسْلَامِ وَأَدْلَتِهِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ أُمَّةِ الْحَدِيثِ وَالْفَقْهِ الْإِسْلَامِيِّ " . اهـ .

- وفي الفقه ثمار العلوم وبركاتها من حكمٍ وفهمٍ وفائدةٍ واستنباطٍ، فهو طواف على الكتاب والسنة والصحاح ومفاهيم الأخبار والسيرة، والجميع يطلبه، برهم

وفتحوها صغيرهم وكبيرهم ، بخلاف بقية العلوم ، قد لا
يأتيها الا الخاصة ، وبعضها خاصة الخواص ، قال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه: "عليكم بالتفقه في الدين، والتفهّم في
العربية، وحُسن العبارة". وقال الأزدِيُّ رحمه الله : سألتُ
ابنَ عباس رضي الله عنه عن الجهاد، فقال: "ألا أدلُّك على
خيرٍ من الجهاد؟" ، فقلتُ: بلى، قال: "تَبني مسجداً، وتُعلم
فيه الفرائضَ والسنة، والفقهِ في الدين". والسلام .

١٤٦ / رأس العلم:

فِرَاسُ الْعِلْمِ تَقْوَى اللَّهِ حَقًّا ** وليس بأن يقال لقد رأستا

- لا يستقيم العلمُ بغير تقوى، تعظّمُ الله وتخشاه على الدوام، وتستشعرُ رقابته بكل حال.. (إنما يخشى الله من عباده العلماء) سورة فاطر . وإذا استقرت التقوى في القلب صلح السلوك ، وصفا القلبُ، وعُظمت الشرائعُ ، وتباعد العبدُ عن المحرمات ، ولذلك هي رأس العلم لأنها توجبُ المخافة والوجل . (مالكم لا ترجون لله وقارا) سورة نوح .
- وهي ضابطةٌ لسلوك العالم واختياره وميله وخلقه واتجاهه، ولا يزال بها مكرّمًا معظما ، وكلما زاد منها ، وقعت محبته في قلوب الخلائق....

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ ** خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ

وَلَا تَحَسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفَلُ سَاعَةً * * وَلَا أَنْ مَا يَخْفَى عَلَيْكَ يَغِيبُ

• قيل للشعبي رحمه الله : أيها العالم، فقال: إنما العالم من

يخشى الله، وقال الحسن البصري رحمه الله: " الفقيه من

يخشى الله عز وجل " ، وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه

الله: " أصل العلم خشية الله تعالى " .

• وإذا تجردت النفس من التقوى قسا القلب، وتوحش

السلوك، وصار العلم وسيلة هدم وظلمة، لا نور وبناء ...

وقال عقبها :

وأفضل ثوبك الإحسانُ لكن * * نرى ثوبَ الإساءة قد لبستا

إذا ما لم يفدك العلمُ خيرا * * فخيرٌ منه أن لو قد جهلتا

وإن ألقاك فهمك في مهاوٍ * * فليتك ثم ليتك ما فهمتا

وهي نتائج لاندراس التقوى من الروح، والله المستعان ...

١٤٧/ حلة العلم:

العقل حلة فخرٍ مَنْ تسربلها * * كانت له نسباً تُغني عن النسبِ

- لكن هذه الحلة لا تحلو بغير العلم، ولا تزكو بدون النص والشرع، فملاؤها العلوم، وزينتها البراهين، وغراسها الفوائد والفهوم، المستخرجة من الكتب وحبها، والأسفار وقراءتها، والدروس والتماسها، والبحوث ونتائجها، قال تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) سورة النحل .

- ولذلك لا يُسقمُ العقلُ شيءٌ كالجَهْلِ والسماجة، ومجالسة التافهين والحمقى، الذين يعيبون العلم والوقت، واستثمار

الزمان ، فحاذرهم في حياتك ، وجنبهم عقلك وتفكيرك ،
وعش على تطهيره وسلامته، والعمل على تغذيته بالخير
والنور والنعماء ... (وقل زب زدني علماً) سورة طه .

• ولا نعماء له تضاهي العلوم وطلبها ، والفهوم واستنباطها ،
والفرائد وانتالها . واجعل لك أصدقاء من العلماء ، وطلاب
العلم، وعشاق المعارف والكتب ، فإنهم مادة ثراء العقل ،
ووقود لموعه ، وينابيع إنتاجيته . وسيغنيك هذا النسب هم
كل نسب تتفاخر به الناس ، فهو أجل نسب ، وأطيب حسب ،
وأعلا شرف وذهب ... وفي الحديث الصحيح : (مَنْ بَطَّأ بِهِ
عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) فاستكثر من العمل الرفيع ، وليس
النسب الرقيق ، الذي لم يداوه الجهل ، والسلام ..

١٤٨ / ينبوع البيان:

وفجرت ينبوع البيان محمدًا * * فسقى الحديث وناول التنزيلا

• هو أجل معلم، وخير مرسل، وأشرف مرب، عليه الصلاة

والسلام، ينبوع البيان، ورسول الحكمة، وصاحب الحجة

والمحجة. أرسله الله بالنور والهدى والحق المبين، رحمة

ومنة، فجاء بالكتاب هاديا وناصحًا وموضحًا، وبالسنة دليلا

ونورًا وتبيانًا (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين). سورة

المائدة. فهو ينبوع بيان للقرآن، إذ شرحته السنة، ونبوع بيان

بما في ملافظه من حُسن باهر، وكلام أسر..

• سقى لنا الحديث ودرره، وناولنا التنزيل ومحاسنه...

(وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا) سورة الشورى .

وتجَلَّت في سننه دعوته ، وبانت سيرته ، وطابت حكمته ،
وبرزت تشريعاته ، فما أجَلَّ ما قال ، وما أطيَبَ ما شرع ..
(لقد كان لكم في رسول الله أسوةً حسنة) سورة الأحزاب .

• فارشَفَ طالبَ العلم من ذلك ينبوع علمًا وفقهًا ، وبيانا
وجمالًا ، واعكفَ على الصحيحين أولًا ، ثم الستةَ ثانيًا ، ثم
التسعةَ ثالثًا ، ولتطعمنَ منها شيئًا فاخرًا ، وطعامًا نادرًا ، من
أحرزه انشرح صدره ، وطابَ مسلكه ، وزانت نفسه ، وزكا
عقله ..! وقد صح قوله : (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه) .

• قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - : «لست تاركًا شيئًا
كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعمل به ، إلا
عملت به ، وإني لأخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ» .

و قال عمر ابنُ عبد العزيز - رحمه الله - : « لا رأي لأحد
مع سُنَّة سنَّها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . » . وقال
الشافعي رحمه الله : " أجمع المسلمون على أن من استبان
له سُنَّة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يحلَّ له أن
يدعها لقول أحد " . والله الموفق .

٤٩ / التوقير في الكبر:

وَقُرَّ مَشَائِخَ أَهْلِ الْعِلْمِ قَاطِبَةً * * حَتَّى تُوقَّرَ إِنْ أَفْضَى بِكَ الْكِبَرُ

- من أحسن صفات الطالب توقيره المشايخ ، وتعظيمه الأساتذة ، فهو من مفاتيح العلم وتحصيله ونيل بركته ، ومن وقرهم صغيرا ، وقر كبيرا ، وحاز عائدة ذلك ، كما قيل :
حَتَّى تُوقَّرَ إِنْ أَفْضَى بِكَ الْكِبَرُ! ... والجزاء من جنس العمل :
..! قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (ليس منا من لم يجلَّ كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه) ؛ رواه أحمد .

- ونصّوا من الآداب خدمتهم ، وحسن رعايتهم ، وعدم مجادلتهم ، أو قطع كلامهم ، والوقار معهم ، والتلطف بهم ،

وتقريب ما يحتاجون لهم ، وعدم الإجابة ورفع الصوت
عندهم... وفيها قال أيضا: واخدم أكابرهم حتى تنال به ...
مثلاً بمثل إذا ما شارف العُمُرُ ...

- ومنها: أن يجلس بين يدي الشيخ جلسة الآداب، كما
يجلس الصبي بين يدي المقرئ أو متربعا بتواضع وخضوع
وسكون وخشوع ويصغي إلى الشيخ ناظراً إليه ولا ينظر إلا
إليه ، ولا يضطرب لضجة يسمعها ، ولا يحرك شيء من
جسده أو ينشغل عن الشيخ ، ولا يكثر كلامه من غير حاجة ،
وإن زل قبلت معذرتة ، وإن كانت له حاجة يسبق لخدمته ..
- وما أحوج طلاب هذا الزمان إلى بعض هذه الآداب ، وأن
يطالعوا هدي السلف في ذلك، نحو : "مقدمة المجموع

"والجامع" للخطيب ، "وتذكرة السامع" لابن جماعة ،
"وأدب الطلب" الشوكاني ، وخلاصتها في "الحلية" للشيخ
بكر ، رحم الله الجميع . وأذكر أنني طالعت أكثر من عشرة
كتب في أول الطلب فضبطت المسار ، وأحكمت المراد ،
والحمد لله على توفيقه .

١٥٠/ الكتابة الألفية:

كتب ألفا وألفاً من مجلدة * * فيها علومُ الوري من غير ما ألم

- كذا فلتكنِ الهمم، قراءةٌ مستديمة، واطلاعٌ عميق، وكتابة ألفية، تخرمُ المجلدات، وتبقرُ المسائل، وتغوصُ في الأغوار والبحار، غيرَ وجلّة ولا هيابة.... تحفظُ حيناً، وتكتبُ أحياناً، وتعالجُ مللَ الروح بتنويع النشاط العلمي..
- وهذه الأبياتُ تُنسبُ للحافظ المعمر زين الدين بن عبد الدائم الحنبلي رحمه الله، شيخ الأقدام والأواخر، درس قرابة ستين سنة، وكان ينسخ العلوم، نسخ تاريخ دمشق مرتين وهو ضخم جداً، والمغني لابن قدامة وهو في عشرة مجلدات، وقد أضرّ بآخر عمره، وعمي فأنشأ يقول:

عَجَزْتُ عَنْ حَمَلِ قِرطاسٍ وَعَنْ قَلَمٍ ** من بعدِ إلفيَ بالقرطاسِ والقلمِ
كُتِبَتْ أَلْفًا وَأَلْفًا مِنْ مَجْلِدَةٍ ** فيها علومُ الوري من غير ما أَلِمَ
ما العلمُ فخرٌ امرئٍ إلا لعامله ** إن لم يكن عملٌ فالعلمُ كالعدمِ
العلمُ زينٌ وتشريفٌ لصاحبه ** فاعمل به فهو للطلاب كالعلمِ
ما زلتُ أطلبه دهري وأكُتبه ** حتى ابتليتُ بضعفِ الجسمِ والهَرَمِ

• فأين طلابنا من هذا الجلد العلمي، والجد الفكري، الذي

يحملهم على تقديس العلم وخدمة أهله، فقد كان ينسخ

لنفسه، وبالأجرة، وللوقف العلمي الخيري، فينتفع منها أمم

من جراء قلة الكتب وتعذر المطابع، التي غصّ بها زماننا

الرهييف..

- وليُعلم أن الكتابةَ شكلاً من الحفظ والفهم ، وفن التدقيق والاستيعاب ، وليست مجرد إنهاك للأصابع ، كما يتصوره بعضُ الجهال، أو عشاق التقنية ، ففيها أساليبٌ علميةٌ لوعى والاختصار، وإدراك ما يصعب ويستعسر، واللهُ الموفق .

تمت مقامات العلم في الذهنية الشعرية

والله الحمد والمنة ..